# فكر و ثقافة

obeikandl.com

obeikandl.com

# أحلام ثقافية :

# ماذا ... لو ...؟!

في مطلع كلّ سنة جديدة... تعود فترة الأحلام والأمنيات، إذ يحقّ لكلّ واحد أن يحلم بما يريد، فالحلم مشروع ومجان، ومن هنا فإنني أحلم بما لو يتمّ في هذا العام الجديد من تحقيق لطموحاتنا الثقافية، بأن تتنوع مصادر المعرفة، وتتوسع مساحة المقروئية كإنجاز مكتبة عمومية في كل مدينة، وأن يدعم النشر بأنواعه الورقي والإلكتروني والإذاعي.

وأن تلغى الضرائب والرسوم على صناعة الكتاب وبيعه، وأن يُحتفى رسميا بكل كتاب يهدف إلى تنمية الذوق الفني والجمالي وبثّ القيم الإنسانية الخالدة، وأن يدرج في الكتاب المدرسي نص لكل مبدع، ويمنح كل من يصدر له مؤلف جديد تفرغا عن العمل سنة لتأليف كتاب آخر...

ونحلم أيضا بتشييد قناة تلفزيونية ثقافية توفّر فضاء

للتعبير الثقافي الحر، وإنشاء منتجع للمفكرين والباحثين والمبدعين عموما أومدينة للمبدعين كما طالبنا بها سابقا وإحداث نقابة للكتّاب تحمي حقوقهم وتدافع عنهم، ويتآلف المفرنسون والمعربون، وأن تكون سلطة المعرفة هي الأولى وأن تتحول الرتب والألقاب في المخيال الشعبي إلى أهل العلم فنقول: جندي في الثقافة... وعقيد في الرواية والشعر وجنرال في الفكر...الخ.

ماذا لو تحقق لصيّادي الجوائز والمناصب حلمهم، فتحدث جائزة الدولة التقديرية في شتى أنواع المعرفة والفنون، وتتعدد المسابقات الثقافية وتصبح على الأقل مديريات الثقافة، ونصف المكاتب الوزارية في الحكومة بأيدي المثقفين الحقيقيين والفاعلين.

ماذا لو نفيق من نومنا ونصحو على هذا الحلم وقد تحقق... أم يبقى مجرد حلم قد يتحول إلى وهم يضاف إلى أوهامنا السابقة...؟!

(فاتح يناير 2006)

# نحن والحضارة

## العوائق المتعددة والرهان الثابت

لم تعد للتقسيم السابق الخاص بالعصور التاريخية أهمية بعد الآن، كما لم تظهر للدول المتخلفة مواقع على خارطة العالم الجديد، الذي يحدّد معالمه الحضور التكنولوجي والتفوق الاقتصادي والانتشار الثقافي.. هذا ما يمكن استخلاصه من المؤتمر العلمي المنعقد بالولايات المتحدة الأمريكية، الذي قسّم فيه الحاضرون التاريخ إلى فترتين اثنتين، ما قبل الأنترنت وما بعده، أي أن فتوحات الأنترنت هي المعيار الوحيد لقياس مدى وجود بلد ما في الفعل الحضاري للعالم، وإذا حاولنا نحن التموقع في هذا التاريخ، فإننا سنجد أنفسنا خارج الزمان وخارج التاريخ، أين نحن إذن ؟!

يقول د. جابر عصفور:

ـ "نحن في الفترة الرمادية ما بين الظلمة والضوء"، ثم يوضح ذلك بأن العرب يضعون أقدامهم على عتبة الحضارة لكنهم

لا يستطيعون دخولها لأن مشاكل العتبة (الباب) شغلتهم عن ذلك، ومشاكل العتبة عندنا أكبر من أن تحصى، ولاتنحصر في قضايا التراث والمعاصرة والسلطة والدين والمرأة والحرية والجمع بين المقدس والمدنس، هذه المسائل التي أسالت حبرا حمضيا يفتت الطوب ويبقي الحصى، ساهمت في توسع دائرة الحيرة وفي تأجيج الأسئلة الحارقة التي ما فتئ المهتمون من شريحة المثقفين يبحثون عن أجوبة كافية لها دون جدوى... بل تمتد مشاكل الإنسان في بلداننا إلى أعماق ذاتيته المخمورة نتيجة إحساسه المخدّر ووعيه المغيّب، وتتفاوت درجة غياب العقل من قطر لآخر لكنها تتجلى بوضوح عند البلدان التي يحكمها المقدس بسوط المدنس، ومثال على ذلك الشرعية الدينية أوالتاريخية التي تسهر على امتدادها الزمني ديكتاتورية النخبة، التي بدورها تنتج أجيالا معوقة التفكير خاطئة الاختيار تتصرف وفق إرادة الوصاية وهذا ما يحدث أثناء التصويت على مشروع ما أوخلال الانتخابات. والإنسان في هذه البلدان سيّما العربية، - ونظرا إلى ما ذكرناه -

نلاحظ أنه استغل استغلالا إيديولوجيا سيئا غير حضاري في كثير من الأحيان، فقد كان كالوعاء الذي تشحن فيه مواد مختلفة وبطريقة آلية وعند تعفنها لسبب أولآخر تفرغ منه بطريقة عشوائية، مما جعل هذا الوعاء قابلا لكل الاحتمالات حتى الفناء.. ومع تعاقب شحنات القومية العربية والإيديولوجية الاشتراكية والإسلاموية، وقبلها الوطنية على الإنسان العربي بما تحمله هذه التيارات من تناقضات ومناورات جعلت منه "روبو" تجارب له استعداد واحد هو "الفشل" وبعد تكرار الفشل تكوّنت القابلية للانهيار ونتج عنها الاختلال في سلم القيم الاجتماعية، وصار المواطن عندنا هيكلا خاويا بل حطاما تائها يعيش كالمخبول، عاطفي الأحكام، أناني المعاملات بهيمي الطموح...

وإذا كانت الحضارة تقاس درجاتها بمقدار تذوّق الشعوب للفن والجمال، فإن شعوبنا تمتلك مناعة قوية ضد الحضارة مع تفاوت بسيط بين شعب وآخر، وللجزائر الحظ الأوفر في هذه المناعة لأن الجهود المبذولة من قبل المخططين المنفذين

(مجالس وحكومات) ومنذ الاستقلال لم تضف إلى جوهر التحضر والنمو الفكري سوى قشور ذات مساحيق سرعان ما اندثرت وبقي المواطن يقتات من بقايا التراث وما أكثر نقائصه! وفي المقابل فإن النظام السياسي تميّز بإضافة فكر التدجين بواسطة المناهج الدراسية والتهجين عن طريق وسائل الإعلام فكرا وسلالم الإدارة لغة وسلوكا...

العالم من حولنا يتطور بسرعة الزمن. عاش النهضة ثم الحداثة ويعيش الآن ما بعد الحداثة، المعلومات التقنية تتكاثر في تناسل عجيب وتتكدس في ذاكرة العالم الجديد ونحن نائمون رغم أن بعض الدول كانت تشبهنا مثل كوريا وماليزيا ركبت قطار الحضارة وحدّدت أجلا قريبا للوصول وهي فاعلة لا محالة... لقد استبشرنا خيرا عندما بلغنا أن تونس أحدثت وزارة للمعلوماتية وتمنيت أن تعمّم هذه الفكرة على جميع الحكومات. الدكتور فهمي هويدي يتساءل في أسلوب طريف عن الإنسان العربي الذي يريد المستقبل وهو لا يمتلك حاضرا، عن الذين يتحدثون

ويلغطون حول القرن الجديد وهم الآن غائبون... وكأنه يقول إن التطور ليس مشكلة لأننا نحن مشكلة أنفسنا، كما أن الروائي عبد الرحمن منيف وهو يتحدث عن تجربته الإبداعية في إحدى الجامعات العربية قد أماط اللثام عن الراهن العربي وحدّد أسباب الانتكاسة في البترول مُتّهما إياه بالمساهمة في تخلف العالم العربي، غير أنه لم يذكر أن نعمة البترول تحوّلت إلى نقمة، لأن اليد التي مسكتها لاتحسن القيادة، وبالتالي أساءت استخدامها كما فعلت عندنا، وهي تحوّل نعمة الحرية والديمقراطية إلى نقمة لم يشهد لها ماضي البشرية مثيلا إلاّنادرا... لأن الأيدي التي كانت تخرج مسرحية الديمقراطية غير مؤهلة علما وأخلاقا لممارسة هذه الوظيفة. هذه بعض مشاكل العتبة المعيقة دخولنا القرن الجديد بهامات مرفوعة، مشاكل أنتجت التبعية والانكسار، حتى لاأقول الانبطاح على حد تعبير الأستاذ المرحوم مولود قاسم. الحل لا تأتي به معجزة بعد عقود الاستهلاك التي عاشتها شعوبنا حتى صارت مضرب المثل في

التطرف والتخلف. هذه الحالة التي قد يستعذبها الحكام لأنها تمدّد عمرهم السياسي الاصطناعي تحت أعذار ومبررات مختلفة... وأمام هذه الثنائية القائمة (شعوب حكام) لا بد من المراهنة على الطرف الأول فهو الأرجح، لأن احتمال تغيير الحكام الآن غير محمود العواقب فالحاكم الذي لايريد تغيير نفسه يسعى إلى تغيير شعبه. كما يقول أحد مفكري أمريكا الجنوبية، وقد صدقت الرؤيا.. إن التغيير الأفقي (تغيير المحكومين) يتطلب صبرا وانتظارا لكن نتائجه مضمونة إذا احترمت الأشواط والمراحل وأولها الطفولة، لأن أعظم ثروة في أي بلد هي الطفولة المبدعة.

والأطفال سيصدّرون في الغد لمجتمعهم ما زرع فيهم اليوم. ومن هنا ينبغي إعطاء الأولوية للأطفال المبدعين في شتى المجالات، لأنه بأيديهم وحدهم جواز السفر إلى الحضارة وفي أسرع وقت، أي أنهم ينتجون المعرفة ويدخلون بها العالم المتطور.

(نشر بجريدة الخبر في : 21 ـ 07 ـ 1997
وبجريدة أصوات الشمال الإلكترونية 2010)

نحن والحضارة

# العوائق المتعددة والرهان الثابت

● لم تعد للتقسيم السابق الخاص بالعصور التاريخية اهمية بعد الان، كما لم تظهر للدول المتخلفة مواقع على خارطة العالم الجديد، الذي يحدد معالمه الحضور التكنولوجي والتفوق الاقتصادي والانتشار الثقافي... هذا ما يمكن استخلاصه من المؤتمر العلمي المنعقد بالولايات المتحدة الأمريكية منذ شهور، الذي قسم فيه الحاضرون التاريخ الى فترتين اثنتين، ماقبل الانترنيت وما بعده، اي ان فتوحات الانترنيت هي المعيار الوحيد لقياس مدى تواجد بلد ما في المحفل الحضاري للعالم بعد سنة 2000 . واذا حاولنا نحن التموقع في هذا التاريخ، فاننا سنجد انفسنا خارج الزمان وخارج التاريخ!! اين نحن اذن؟!يقول د.جابر عصفور: "نحن في الفترة الرمادية مابين الظلمة والضوء"، ثم يوضح ذلك بان العرب يضعون اقدامهم على عتبة الحضارة لكنهم لا يستطيعون دخولها لان مشاكل العتبة (الباب) شغلتهم عن ذلك.. ومشاكل العتبة عندنا اكبر من ان تحصى ولا تنحصر في قضايا التراث والمعاصرة والسلطة والدين والمرأة والحرية والجمع بين المقدس والمدنس. هذه المسائل التي اسالت حبرا حمضيا يفتت الطوب ويبقي الحصى ساهم في توسيع دائرة الحيرة وفي تأجيج الاسئلة الحارقة التي ما فتئ المهتمون من شريحة المثقفين يبحثون عن اجوبة كافية لها دون جدوى... بل فقد مشاكل الإنسان في بلداننا الى أعماق ذاته المخمورة نتيجة احساسه المخدر ووعيه المغيب وتنفارت درجة غياب العقل من قطر لاخر لكنها تتجلى بوضوح عند البلدان التي يحكمها المقدس بسوط المدنس، مثلا الشرعية الدينية أو التاريخية التي تسهر على امتدادها الزمني ديكتاتورية النخبة، التي بدورها تنتج اجيالا معوقة التفكير خاطئة الاختيار تتصرف وفق ارادة الوصاية وهذا ما يحدث اثناء التصويت على مشروع ما او خلال الانتخابات.والانسان في هذه البلدان، سيما العربية، ونظرا لما ذكرناه نلاحظ انه استغل استغلالا ايديولوجيا سيئا غير حضاري في كثير من الاحيان. فقد كان كالوعاء الذي تشحن فيه مواد مختلفة وبطريقة آلية وعند تعفنها لسبب أو لاخر تفرغ منه بطريقة عشوائية مما جعل هذا الوعاء، قابلا لكل الإحتمالات حتى الفناء... وأن تعاقب شحنات القومية العربية والايديولوجية الاشتراكية والاسلامية وقبلها الوطنية على الإنسان العربي بما تحمله هذه التيارات من تناقضات ومناورات جعلت منه "ربو" تجارب له استعدادا واحدا هو "الفشل"، عاش النهضة ثم الحداثة ويعيش الان ما بعد الحداثة، المعلومات التقنية تتكاثر في تناسل عجيب وتتكدس في ذاكرة العالم الجديد ونحن نائمون رغم أن بعض الدول تشبهنا مثل كوريا وماليزيا ركبت قطار الحضارة وحددت اجلا قريبا للوصول وهي فاعلة لا محالة...لقد استبشرنا خيرا عندما بلغنا ان تونس احدثت وزارة للمعلوماتية وتمنينا أن تعمم هذه الفكرة على جميع الحكومات. الدكتور فهمي هويدي يتساءل في أسلوب طريف عن الانسان العربي الذي يريد المستقبل وهو لا يمتلك حاضرا عن الذين يتحدثون ويلفظون حول القرن القادم وهم الان غائبون.. وكأنه يقول ان التطور ليس مشكلة لاننا نحن مشكلة انفسنا.كما ان الروائي عبد الرحمان منيف وهو يتحدث عن تجربته الابداعية في احدى الجامعات العربية قد اماط اللثام عن الراهن العربي وحدد اسباب الانتكاسة في البترول متهما اياه بالمساهمة في تخلف العالم العربي، غير أنه لم يذكر ان نعمة البترول تحولت الى نقمة لان اليد التي مسكتها لا تحسن القيادة، وبالتالي اساءت استخدامها كما فعلت عندنا وهي تحول نعمة الحرية والديمقراطية الى نقمة لم يشهد لها ماضي البشرية مثيلا الا نادرا... لان الايدي التي كانت تخرج " مسرحية الديمقراطية غير مؤهلة علما واخلاقا لممارسة هذه الوظيفة.هذه بعض مشاكل "العتبة" المعقدة دخولنا القرن الجديد بهامات مرفوعة، مشاكل انتجت التبعية والانكسار حتى لا اقول الانبطاح على حد تعبير الاستاذ المرحوم مولود قاسم.الخ لا تأتي به معجزة بعد عقود الاستهلاك التي عاشتها شعوبنا حتى صارت مضرب المثل في التطرف والتخلف، هذه الحالة

# الجابري بين الفكر و السياسة

لم يعد الأستاذ محمد عابد الجابري بيننا.. رحل المفكر المغربي الكبير رحمه الله في مطلع شهر ماي2010 بعدما فكّك العقل العربي المتكلس وحلّل عقده المنفوثة وقوّض أركانه السائدة والبائدة بكتاباته العميقة والجريئة وكتبه المتعددة من نقد التراث والعقل العربيين... إلى المدخل في القرآن الكريم...

ولا شكّ أن منطقتنا ستنتظر ردحا من الزمن كي تتوحم على رجل في عقل الجابري ومن ثم تنتظر دهرا كي يأتيها المخاض بمثله في ظل هيمنة السياسي على الأوكسجين الثقافي.

والجابري قبل أن يتفرغ للفكر والفلسفة كان عضوا قياديا موجها ومحررا في الحزب المغربي الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية.

فهل استطاع العقل المفكر للجابري أن يتجرّد من القناعة السياسية لصاحبه ؟!

وأي الاثنين منهما (الفكر، السياسة) كان الصرح عند الجابري ليكون الآخر ظله، في تلك الفترة الانتقالية على الأقل؟!

أسئلة راودتني ذات مرة عندما تحدث الأستاذ الجابري في حصة تلفزيونية حول موضوع العلاقات المغربية الجزائرية وقال كلمة فيها رائحة السياسة أكثر من الفكر فوجدت قلمي يتحرك توضيحا واستيضاحا لاتطاولا بتاريخ: 09، 08، 1997م على صفحات جريدة العالم السياسي التي كانت تصدر بالجزائر، وهذا نصه:

## المفكر الجابري والجزائر :"زلة لسان أم رأي سلطان؟!"

لم يكن منتظرا أن يكبو جواد الجابري على جرح الجزائر فيسقط المفكر المغربي من سمو الفكر ونقد العقل العربي إلى وحل السياسة.

وهو يصرّح في حصة تلفزيونية بثتها قناة (ART) مساء السبت 26، 07، 1997 بحضور ثلة من المفكرين أمثال برهان غليون وكلوفيس مقصود وغيرهما.. جمعتهم ندوة حول مشروع القومية العربية وأسباب فشله.

عند تحليله للموضوع أعطى الأستاذ المفكر عابد الجابري مثالا محليا عن سبب فشل قيام وحدة المغرب العربي قائلا:

"- لأن المغرب شبعان دولة بينما الجزائر جوعانة دولة، تأخر تطبيق مشروع اتحاد المغرب العربي..."

أي أن الجزائر حديثة الاستقلال والنشأة كدولة لذلك هي لا تريد الوحدة قبل أن تحقق ذاتيتها الداخلية وتنعم بدولتها ردحا من الزمن.

لا شك أن ملايين المتتبعين للحصة المذكورة في القارات الخمس قد صدمهم قول الجابري، وهم يعلمون أنه المفكر الذي يعرف جيدا مفهوم الدولة ونشأتها وتاريخ دولة الجزائر الذي يجرّ خلفه أكثر من23 قرنا، وأنه لا مجال

للمقارنة بين المغرب والجزائر من حيث محاولة الإقرار بأن المغرب متخم بعناصر الدولة وأهمها الحرية والديمقراطية، هذا افتراء على التاريخ، ثم من قال إن الدولة الجزائرية ولدت سنة 1962 غير جارنا (الفيلسوف) وجيسكار ديستان في قولته عند زيارة الجزائر:

"فرنسا التاريخية تحييّ الجزائر المستقلة؟" مما يعني أن الحضور الكولونيالي لا يزال قابعا في عقل المفكر محمد عابد الجابري. وأنه بتصريحه الغريب كان كمن يبعد القذى عن عينه ليضعه على جبينه.

إن في الجزائر والمغرب شعبا واحدا تربطه الأرض بتضاريسها والتاريخ بمفاصله والدين بأحكامه واللغة بلهجاتها، ، وهذه عناصر شكّلت وجدانا واحدا رغم محاولة الغزاة جعل الجزائر جسدا والمغرب جناحا مفصولا عنه...

إن الحب إحساس لا وطن له، فالجزائر توّحدت مع الدولة العثمانية عن طيب خاطر في حين عزف المغرب

عن ذلك، ومنذ مؤتمر طنجة عام 1957م والجزائر تسعى إلى الوحدة وإلى تحقيق هذا الحلم الشعبي، لا أريد هنا أن أتحدث باسم الدبلوماسية حتى لا أنزلق في الهفوة نفسها التي ورّطت الأستاذ الجابري وصار كأنه الناطق باسم القصر الملكي، لكن الشهادة للتاريخ تلحّ على قلمي ليذكر أن أول من فرض التأشيرة على الجزائريين لدخول المغرب، ليست الجزائر، وليس حكامها من الذين أعلنوا تجميد مشروع المغرب العربي منذ سنة، بسبب خلافات مع الصحراويين في الجنوب.

نحن نقدّر جهودك ونعتزّ بك من كل الأوجه، لكن هذا لا يعفينا من إماطة اللثام عن الحقائق، لأن الجزائر ليست ضيعة لأحد.. والمواطنة ليست ذنبا ولأننا لا نقبل إرضاء الأخوة المشارقة بتعليق عوامل إفلاس القطرية والقومية العربية على مشجب بعض البلدان التي تختزل فيها المأساة العربية كالجزائر والعراق وليبيا وفلسطين في أشكال مختلفة..

وبالتالي نعتبر كلامكم تنظيرا فلسفيا يوحي ببداية تصحّر فكري، وهذا ما لا نتمناه، ضف إلى ذلك أن الأحكام الجاهزة تنقص من مصداقية المفكر وقد صدق المثل: "لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة.." المواطن العربي يرنو إلى الانعتاق الفكري وإلى التحليل العلمي الذي يسمو على سوسة السياسات الظرفية ووسواس الحكام وأوهام النخبة". انتهى النص المنشور.

واليوم بعد رحيل المفكر الكبير محمد عابد الجابري أعدت نشر هذا التوضيح لأتساءل:

ـ هل كنت مجانبا للصواب حينما تصوّرت أن الكبار لايخطئون، أو لا ينبغي أن يخطؤوا ولو بزلة لسان؟!

رحم الله الجابري الذي أضاف إلى المكتبة العربية والعالمية عشرات المؤلفات بخصوبة فكرية بعيدا عن عالم السياسة.

(نشر بجريدة العالم السياسي في : 09 ـ 08 ـ 1997 م
وبجريدة أصوات الشمال الإلكترونية 2010)

# المفكر الجابري والجزائر:

# زلة لسان أم رأي سلطان..؟.

**لم يكن منتظرا أن يكبو جواد الجابري على جرح الجزائر، فيسقط المفكر المغربي من سمو الفكر ونقد العقل العربي الى وحل السياسة.**

وهو يصرح - في حصة تلفزيونية بثتها قناة (ART) مساء السبت 1997/07/26 بحضور ثلّة من المفكرين أمثال برهان غليون وكلوفيس مقصود وغيرهما.. جمعتهم ندوة حول مشروع القومية العربية واسباب فشله ، عند تحليله للموضوع أعطى "الاستاذ المفكر عابد الجابري" مثالا محليا عن سبب فشل قيام وحدة المغرب العربي قائلا: "لأن المغرب شبعان دولة، بينما الجزائر جوعانة دولة تأخر تطبيق مشروع اتحاد المغرب العربي...".

أي أن الجزائر حديثة الاستقلال والنشأة كدولة لذلك هي لاتريد الوحدة قبل أن تحقق ذاتيتها الداخلية وتنعم بدولتها ردحا من الزمن...

لاشك ان ملايين المتتبعين للحصة المذكورة، في القارات الخمس قد صدمهم قول الجابري وهم يعلمون انه المفكر الذي يعرف جيدا مفهوم الدولة ونشأتها وتاريخ دولة الجزائر الذي يجر خلفه أكثر من 23 قرنا، وأنه لامجال للمقارنة بين المغرب والجزائر من حيث محاولة الإقرار بأن المغرب متخم بعناصر الدولة واهمها الحرية والديمقراطية، هذا افتراء على التاريخ، ثم من قال ان الدولة الجزائرية ولدت سنة 1962 غير جارنا الفيلسوف... وجيسكار ديستان في قولته عند زيارة الجزائر: "فرنسا التاريخية تحيّي الجزائر المستقلة"؟.. مما يعني أن الحضور الكولونيالي لايزال قابعا في عقل المفكر محمد عابد الجابري، وأنه بتصريحه الغريب، كان كمن يبعد القذى عن عينه ليضعه على جبينه.

- ان في الجزائر والمغرب شعبا واحدا تربطه الأرض بتضاريسها والتاريخ بمفاصله والدين بأحكامه واللغة بلهجاتها، عناصر تشكل وجدانا واحدا رغم محاولة الغزاة جعل الجزائر جسدا والمغرب جناحا مفصولا عنه...

ان الحب احساس لاوطن له، فالجزائر توحدت مع الدولة العثمانية عن طيب خاطر في حين عزف المغرب عن ذلك، ومنذ مؤتمر طنجة عام 1957 والجزائر تسعى الى الوحدة الى تحقيق هذا الحلم الشعبي، لا أريد أن أتحدث باسم الديبلوماسية حتى لا أنزلق في الهفوة نفسها التي ورّطت الاستاذ الجابري وصار كأنه الناطق باسم القصر الملكي، لكن الشهادة للتاريخ تلحّ على قلمي ليذكّر ان اول من فرض التأشيرة على الجزائريين لدخول المغرب، ليست الجزائر.. وليس حاكمها من أعلن تجميد مشروع المغرب العربي منذ سنة بسبب خلافات مع الصحراء في الجنوب...

نحن نقدّر جهودك ونعتز بك من كل الأوجه، لكن هذا لايعفينا من إماطة اللثام عن الحقائق، لان الجزائر ليست ضيعة لأحد.. والمواطنة ليست ذنبا.. ولاننا لانقبل أرضاء الاخوة المشارقة بتعليق عوامل إفلاس القطرية والقومية العربية على مشجب بعض البلدان التي تُختزل فيها المأساة العربية كالجزائر والعراق وليبيا وفلسطين في أشكال مختلفة. وبالتالي نعتبر كلامكم تنظيرا فلسفيا يوحي ببداية تصحّر فكري، وهذا ما لا نتمناه.. ضف الى ذلك ان الاحكام الجاهزة تنقص من مصداقية المفكر وتقلل من مساحة إعجاب القراء به وقد صدق المثل: لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة.. المواطن العربي يرنو الى الانعتاق الفكري والى التحليل العلمي الذي يسمو على سوسة السياسات الظرفية ووسواس الحكام وأوهام النخبة..

**رابح خدوسي**

مصر جريدة العالم السياسي 1997/8/9

# ثمن الصراع اللغوي
# في الجزائر

"الحاكم الذي لا يريد تغيير نفسه يحاول تغيير شعبه"

هذه المقولة لكاتب من أمريكا اللاتينية، يمكن سحبها على حالنا في الجزائر، فإذا اعتبرت اللغة وعاء ثقافيا للحضارة التي تكتب بها حروف هذه اللّغة، فهل من المفيد الإصرار على جعلها وعاء ثقافيا لحضارة أخرى مغايرة ؟!، مثال ذلك أن يتزوج الرجل امرأتين الأولى أم الأولاد والثانية التي صادفها في الشارع فيبدأ الصراع بينهما لينتهي إلى موت الرجل نفسه إن لم يحسم الأمر بفراق إحداهما!!

من سوء حظ الجزائر أن تعيش صراعا مفتعلا بين المدافعين عن الفرنسية والمنافحين عن العربية ـ حتى لا أقول ـ وهم متعلمون بهذه أوبتلك أنهم مثقفون، وعوض أن يوجّه هذا الجهد وجهة حضارية يستفيد منه المجتمع في مجالات البحث المعرفي، فإنه تحوّل إلى انحراف خطير قضى على



obeikandi.com

اللّغتين معا في التعليم وأحدث شرخا كبيرا بين وسائل الإعلام المعربة والأخرى المفرنسة بل أحدث صراعا بين السلطة والشعب...

- كيف ذلك...؟!!

**الجواب:**

1. إن جماعة "الفرانكفونية" توارثت مواقعها في السلطة منذ الحكم الفرنسي في الجزائر، وهي تحكم شبكتها جيدا في مختلف الإدارات ومناصب القرار وتزرع النعوت المشينة بالمعربين من تعصب وتخلف ووو... قصد إقصائهم وعزلهم عن مناصب النفوذ... وهي بذلك عزلت السلطة عن أغلبية الشعب.

2. إن جماعة العربية توارثت ثقة الشعب بدفاعها المبدئي والمصطنع أحيانا عن ثوابته كالدين الإسلامي واللغة العربية وغيرهما من الثوابت الوطنية التي تدّعي أنها مهّددة من الفرانكفونيين.

واحتوت هذه الجماعة (المعرّبة) المدارس والمساجد والأسواق... وأبت مسايرة العصر وصمتت عن الرداءة التي عمَّت الفكر، مردّدة "لهم المجالس ولنا المدارس".

ومن النتائج الخطيرة التي أحدثها هذا الصراع:

- وجود مجتمعين أو مشروعي مجتمعين متناقضين:

مشروع السلطة ومشروع الشعب، وهذا ما أدّى إلى:

- عزل السلطة عن الشعب وإحداث مواجهة بينهما في مناسبات عديدة مثل مواعيد الانتخابات، وأحداث 05 أكتوبر 1988.
- توقف عجلة التنمية وتعميم عدم الشعور بالانتماء للوطن وبالتالي التدمير الجماعي كالتخريب والإجرام المنظم وعدم الإنتاج في العمل.
- استغلال هوية ومكاسب الدولة والشعب كالأمازيغية والإسلام واستثمارهما في الصراع.

- ظهور فئة ثالثة وصولية وانتهازية تجامل الطرفين وتؤيد كل منهما لتحقيق أغراضها وهي ما يسمى بالمافيا المالية والسياسية.

وهكذا بقي الوضع في الجزائر يتأرجح بين مصلحة مقيّدة وشعب يعاني.

وحتى لا يقع للجزائر ما وقع لزوج الضرتين... على القاضي الأول في البلاد أن يصدر حكما شجاعا بطلاق إحدى الضرتين إما الفرنسية أو العربية بدل محاولته التوفيق بينهما وهو أمر مستحيل لأسباب موضوعية تاريخية وعلمية.

أو أن يسرّح الاثنتين ويريح الجميع، فالأمازيغية والأنجليزية في الانتظار وحتى لغة الإلكترونات والأنترنت أيضا.

(نشر بمجلة الأسبوع الأدبي، سوريا في: 26- 01- 2002)

# ثمن الصراع اللغوي في الجزائر

رابح خدوسي

"الحاكم الذي لا يريد تغيير نفسه يحاول تغيير شعبه" مقولة لكاتب من أمريكا اللاتينية، يمكن سحبها على حالنا في الجزائر، فإذا اعتبرت اللغة وعاء ثقافيا للحضارة التي تكتب بها حروف هذه اللغة، فهل من المفيد الإصرار على جعلها وعاء ثقافياً لحضارة أخرى مغايرة، مثال ذلك أن يتزوج الرجل امرأتين الأولى أم الأولاد والثانية التي صادفها في الشارع فيبدأ الصراع بينهما لينتهي إلى موت الرجل نفسه إن لم يحسم الأمر بفراق إحداهما.

*من سوء حظ الجزائر أن تعيش صراعاً مفتعلاً بين المدافعين عن الفرنسية والمنافحين عن العربية (حتى لا أقول) وهم متعلمون بهذه أو بتلك متقفين وعوض أن يوجه هذا وجهة حضارية يستفيد منه المجتمع في مجالات البحث العلمي، فإنه تحول إلى انحراف خطير قضى على اللغتين معاً في التعليم وأحدث شرخاً كبيراً بين وسائل الإعلام المعربة والأخرى المفرنسة بل أحدث صراعاً بين السلطة والشعب...

*كيف ذلك...

الجواب إن جماعة "الفرانكفونية" توارثت مواقعها في السلطة منذ الحكم الفرنسي في الجزائر وهي تحكم شبكتها جيداً في مختلف الإدارات ومناصب القرار وتزرع النعوت المشينة بالمعربين من تعصب وتخلف وو... قصد إقصائهم وعزلهم عن مناصب النفوذ... وهي بذلك عزلت السلطة عن أغلبية الشعب، وإن جماعة المعربين توارثت ثقة الشعب بدفاعها المبدئي والمصطنع أحياناً عن ثوابته كالدين والعربية والثوابت الوطنية المهددة من الفرانكوفونيين.

واحتوت المدارس والمساجد والا
مسايرة العصر وصمتت عن الرداء
الفكر، مرددة لهم المجالس ولنا المدارس
ومن النتائج الخطيرة التي أحدثها هذا
-وجود مجتمعين أو مشروعين
مشروع السلطة ومشروع الشعب.
-عزل السلطة عن الشعب وإحد
بينهما في مناسبات عديدة مثل مواعيد
وأحداث 05 أكتوبر 1988...
-توقف عجلة التنمية وتعميم
بالانتماء للوطن وبالتالي التدمير الجماعي
والإجرام المنظم وعدم الإنتاج في العمل.
-استغلال مكاسب الدولة والشعب
في الصراع كالأمازيغية والإسلام.

-ظهور فئة ثالثة وصولية وانتهـ
الطرفين وتؤيد كل منهما لتحقيق أغراض
يسمى بالمافيا المالية والسياسية.
وهكذا بقي الوضع في الجزائر
مصلحة مقيدة وشعب يعاني.
وحتى لا يقع للجزائر ما وقع لزوج
على القاضي الأول في البلاد أن
شجاعاً بطلاق إحدى الضرتين إما
العربية بدل محاولته التوفيق بينهما الذي
لأسباب موضوعية تاريخية وعلمية...
أو أن يسرّح الاثنتين ويريح الجميع،
والانجليزية في الانتظار وحتى لغة
والإنترنت أيضاً.

الأسبوع الأدبي (سوريا)
2002 -01- 26

obeikandl.com

# اغتيال مقدمة...

"جرت العادة أن تعرض الكتب وتقدم إلى القراء أوتنتقد من لدن ذوي الاختصاص، لكننا هذه المرة سنخالف العادة بوضع تقديم الكتاب الذي تم حذفه وهو في المرحلة النهائية للصدور.

هذا الحذف الذي كان من المفروض ألاّ يكون لأنه من الأصول أما الحذف فهو الاستثناء الذي لا يخدم كل ذي قلم لا يقبل رقابة رقيب إلاّ رقابة اللّه".

(تعليق جريدة النور).

## نص التقديم الذي كتبه رابح خدوسي :

إذا كان التقديم لأي عمل فكري يعتبر وساما يوشّح به صدر ذلك العمل فهي أيضا شهادة تاريخية ومسؤولية عظمى ينبغي التفكير كثيرا فيها قبل تحمّلها.



obeikandl.com

عندما شرّفني الأستاذ الأديب باديس فوغالي ومنحني تصدير كتابه"التجربة القصصية النسائية في الجزائر" لتدوين الافتتاحية أو المقدمة شعرت بقلمي يضطرب بين أناملي وهو المتعوّد كتابة جملة من المقدمات لمختلف المؤلفات، وحالة القلم المذكورة مردُّها إلى أن صاحب الكتاب صديق حميم وكاتب زئبقي، صاحب أسلوب متماسك وسهل ممتنع، معروف بحضوره المتألق في مختلف المحافل الأدبية والفكرية داخل الجامعة وخارجها.

عرفته منذ سنوات قاصا وشاعرا ودارسا يقول عن نفسه إنه يتعمد منافسة الشعراء في مملكتهم وأعلم أنه يختزن في مكتبه مخطوطات في الشعر والقصة والرواية، ولا يطلع قراؤه إلاّ على القليل مما يكتب.

والأستاذ باديس فوغالي يسكنه قلق المبدع وتعمق الباحث وطيبة الفنان، إضافة إلى صراحة آرائه النقدية ووضوح مواقفه الثابتة، كما أنه من القلائل الذين تجتمع فيهم صفة الأديب موهبة وثقافة وسلوكا...

ويمكن القول إنه ورشة ثقافية متنقلة تختزل مدينة قسنطينة بكل إيحاءاتها ودلالاتها الإيجابية، والكتاب الذي بين أيدينا يعتبر من الأهمية بمكان، إذ يتلمس قارئه بوضوح مدى اهتمام الكاتب بما تنتجه الأقلام النسوية، في مجال القصة القصيرة قبل الاستقلال وبعده، ولأهم الأسماء كزهور ونيسي وغيرها، بعضها كان له الفضل في تطوير العمل القصصي ومنحه الوسامة في التشكيل وفي التجلي والبروز كزليخة السعودي، جميلة زنير، نورة سعدي، أم سهام و أخريات...

والعمل في مجمله أمسك بمحور المضامين بأهم الانشغالات التي بصمت عالم المرأة الجزائرية خلال مسيرتها التاريخية لافتكاك حقها في الكتابة والإبداع والحياة، وعلى محور الأشكال يلامس أهم الملامح الفنية والجمالية في بناء العمل القصصي، متكئا على عنصري الزمان والمكان وما يتنج عنهما من دلالات وأبعاد، كما حاول القبض على أهم التمفصلات التي قطعها النص القصصي

النسائي أثناء التشكّل على مستوى بنية الخطاب، ورسم الشخصيات المحورية والتي عادة ماتجنّس الأنثى لغةً ونصًّا.

كما يلمس القارئ النضج الفكري لدى كاتبنا إذ يتجلى من خلال الصدق مع الذات، وهو يمارس فعل الكتابة حتى تبدو شخصية الأستاذ فوغالي حاضرة في أعماله بمواصفاتها الأدبية.

هنيئا للمرأة المبدعة وللمكتبة الجزائرية.

**(نشر بجريدة النور**
**في: 14 جويلية 2002)**

**توضيح:**

صدر كتاب التجربة القصصية النسائية في الجزائر لصاحبه الدكتور باديس فوغالي عن اتحاد الكتاب الجزائريين ومقدمته محذوفة، لأن يدا خفية أسقطتها من الكتاب دون علم المؤلف أوكاتبها، وهذا مثال على سلوكيات غير حضارية كانت تحدث من قبل أشخاص في اتحاد الكتاب، يفترض فيهم أن يكونوا في قمة الحضارة بصفتهم يمثّلون النخبة المثقفة.



obeikandl.com

# إصدارات التجربة القصصية النسائية في الجزائر

جرت العادة، ان تعرض الكتب وتقدم إلى القراء، او تنتقد من لدن ذوي الاختصاص، لكننا هذه المرة سنخالف العادة بوضع "تقديم" الكتاب الذي تم حذفه وهو في المرحلة النهائية للصدور.

هذا الحذف الذي كان من المفروض ألا يكون لأنه من الأصول، اما الحذف فهو الاستثنائي الذي لا يخدم كل ذي قلم لا يقبل رقابة رقيب، إلا رقابة الله.

## تقديم

إذا كان تقديم أي عمل فكري يعتبر وساما يوشح به صدر ذلك العمل فهو أيضا شهادة تاريخية ومسؤولية عظمى ينبغي التفكير كثيرا فيها قبل تحملها .

عندما شرفني الأستاذ الأديب باديس فوغالي ومنحني صدارة كتابة "التجربة القصصية النسائية في الجزائر" لتدوين الافتتاحية أو المقدمة شعرت قلمي يضطرب بين أناملي وهو المتعود على كتابة جملة من المقدمات لمختلف المؤلفات وحالة القلم المذكورة مردها ان صاحب الكتاب صديق حميم وكاتب زئبقي ، صاحب أسلوب متماسك وسهل ممتنع،معروف بحضوره المتألق في مختلف المحافل الأدبية والفكرية داخل الجامعة وخارجها.

عرفته من سنوات قاصا وشاعرا ودارسا يقول عن نفسه أنه يتعمد منافسة الشعراء في مملكتهم وأعلم أنه يختزن في مكتبه مخطوطات في الشعر والقصة والرواية، ولا يطلع قراءه إلا على القليل مما يكتب.

والأستاذ باديس فوغالي يسكنه قلق المبدع وتعمق الباحث وطيبة الفنان إضافة إلى صراحة آرائه النقدية ووضوح مواقفه الثابتة، كما انه من القلائل الذين تجتمع فيهم صفة "الأديب" موهبة وثقافة وسلوكا.. ويمكن القول أنه ورشة ثقافية متنقلة تختزل مدينة قسنطينة بكل ايحاءاتها ودلالاتها الايجابية والكتاب الذي بين أيدينا يعتبر من الأهمية بمكان، إذ يلتمس القارئ له بوضوح مدى اهتمام الكاتب بما تنتجه الأقلام النسوية في مجال القصة القصيرة قبل الاستقلال وبعده ولأهم الأسماء كزهور ونيسي، بعضها كان له الفضل في تطوير العمل القصصي ومنحه الوسامة في التشكيل وفي التجلي والبروز، كزليخة السعودي، جميلة زنير، نورة سعدي، ام سهام وأخريات...

والعمل في مجمله مسك على محور المضامين بأهم الانشغالات التي بصمت عالم المرأة الجزائرية خلال مسيرتها التاريخية لافتكاك حقها في الكتابة والابداع والحياة، وعلى محور الإشكال يلامس أهم الملامح الفنية والجمالية في بناء العمل القصصي متكئا على عنصري الزمان والمكان وما يستضيء عنهما من دلالات وأبعاد، كما حاول القبض على أهم التمفصلات التي قطعها النص القصصي النسائي أثناء التشكل على مستوى بنية الخطاب ورسم الشخصيات المحورية والتي عادة ما تجنس أنثى لغة ونصا.

كما يلمس القارئ النضج الفكري لدى كاتبنا إذ يتجلى من خلال الصدق مع الذات وهو يمارس فعل الكتابة حتى تبدو شخصية الأستاذ فوغالي حاضرة في أعماله بمواصفاتها الأدبية.

هنيئا للمرأة المبدعة وللمكتبة الجزائرية ..

الأستاذ: رابح خدوسي

# فتنة الأدباء

## لجان القراءة... تقليد حضاري

كثر الحديث عن لجنة القراءة المستحدثة لدى الصندوق الوطني لترقية الآداب والفنون بوزارة الثقافة مابين مستحسن ومستهجن!!

ولأن الكلمة صاحبها مسؤول عنها في حالتي البوح أوالصمت فمن الأحرى أن نقولها، وهذا بدافع إماطة اللثام عن قضية ثقافية في غاية الأهمية والحساسية.

وانطلاقا من تجربتي كأمين وطني سابق مكلف بالنشر في اتحاد الكتاب الجزائريين، وكمدير دار نشر (دار الحضارة) وبناء على ملاحظاتي كقارئ لما ينشر من قبل بعض الجمعيات الثقافية بالمال العام، فإنني أرى من حق وواجب كل مسؤول عن النشر في القطاعين العام والخاص أن يستأنس بمستشارين مختصين في أي عمل قبل



obeikandi.com

ترشيحه للنشر، ولا أرى أن ذلك تضييق على حريّة التعبير أواستصغار للمؤلف أوللهيئة المنتمي لها، إنما هو تثمين للجهود وإضفاء للمصداقية على الإنتاج الفكري بل هو بمثابة غربلة وانتقاء الجيّد، لأن الأعمال فيها الغث والسمين، والشاهد ما طبع من مهازل في الأعوام السابقة سيّما تحت نفقة صندوق دعم الإبداع.

إن أغلب المؤسسات المهتمة بمجال النشر في العالم لها لجان قراءة دائمة، تقدّم ملاحظاتها وتوصياتها حول كل عمل مرشح للنشر بعيدا عن كل تأثير خارج الموضوعية العلمية.

وإلى حد قريب كانت المؤسسة الوطنية للكتاب تتوفر على مجموعات من لجان القراءة، والتي بفضلها نشرت أغلب الأعمال الإبداعية لجيل مرحلة السبعينيات وما قبلها وبعدها إلى أن حُلّت، ، وبالتالي فإن لجنة القراءة الموجودة بوزارة الثقافة أراها "ولا إكراه في الرأي" أنها تقليد حضاري أطربني استحداثها وأتمنى أن تشدّد على ما يوجّه

للأطفال بل ينبغي أن تمتدّ صلاحياتها إلى منشورات القطاع الخاص الموجّهة للناشئة، لوضع حد للأخطاء اللغوية والتربوية والفكرية الموجودة في سوق الكتب.

ما ننتظره من وزارة الثقافة بعد تقديم أعمال الكاتب المرحوم أبو العيد دودو، في ذكرى رحيله السنوية أن تعلم المهتمين بأسماء الأعمال المقبولة لحد الآن، حتى يطمئن الجميع لأن العمل في الظل مهما كان كبيرا يظل كالعرس دون زرنة، باردا لا حرارة فيه. ونقص الإعلام لأي جهد يعد نقيصة صالحة للاستثمار.

كما نأمل منها أن تتابع بل تقوم بترشيد الأموال المقدمة للجمعيات أو المؤسسات التابعة لها، والتي تستهلك باسم الفعل الثقافي أموالا دون مردود يذكر سواء في الملتقيات أوالاحتفالات المختلفة.

(نشر بجريدة الخبر و جريدة الشروق
في: 25-01-2005)

**توضيح :**

كتب هذا المقال ردا على الحملة التي قادها رئيس اتحاد الكتاب الجزائريين ورئيس جمعية الجاحظية وغيرهما على مديرة الآداب والفنون بوزارة الثقافة الشاعرة ربيعة جلطي بسبب تنصيبها لجنة قراءة للمخطوطات الأدبية المقدمة للوزارة من قبل المؤلفين والجمعيات الثقافية قصد نشرها، وتوالت السنون ورسّمت اللجنة المذكورة بعد استقالة الشاعرة من الوزارة.

obeikandl.com

رأي

# لجان القراءة... تقليد حضاري

بقلم: رابح خدوسي

● كثر الحديث عن لجنة القراءة المستحدثة لدى الصندوق الوطني لترقية الآداب والفنون بوزارة الثقافة ما بين مستحسن ومستهجن لها.

ولأن الكلمة صاحبها مسؤول عنها في حالتي البوح أو الصمت، فمن الأحرى أن نقولها. وهذا بدافع إماطة اللثام عن قضية ثقافية في غاية الأهمية والحساسية.

وانطلاقا من تجربتي كأمين وطني سابق مكلف بالنشر في اتحاد الكتاب الجزائريين وكمدير دار نشر -دار الحضارة- وبناء على ملاحظاتي كقارئ لما ينشر من قبل بعض الجمعيات الثقافية بالمال العام، فإنني أرى من حق وواجب كل مسؤول عن النشر في القطاعين العام والخاص أن يستأنس بمستشارين مختصين في أي عمل قبل ترشيحه للنشر. ولا أرى أن ذلك تضييق على حرية التعبير أو استصغار للمؤلف أو للهيئة المنتمي لها. إنما هو تثمين للجهود وإضفاء للمصداقية على الإنتاج الفكري، بل هو بمثابة غربلة وانتقاء الأجود، لأن الأعمال فيها الغث والسمين. والشاهد ما طبع من مهازل في الأعوام السابقة، سيما تحت نفقة صندوق دعم الإبداع.

إن أغلب المؤسسات المهتمة بمجال النشر في العالم لها لجان قراءة دائمة، تقدم ملاحظاتها وتوصياتها حول كل عمل مرشح للنشر بعيدا عن كل تأثير خارج الموضوعية العلمية.

وإلى حد قريب كانت المؤسسة الوطنية للكتاب تتوفر على مجموعات من لجان القراءة والتي بفضلها نشرت أغلب الأعمال الإبداعية لجيل مرحلة السبعينيات وما قبلها وبعدها إلى أن حلت. وبالتالي، فإن لجنة القراءة الموجودة بوزارة الثقافة أراها، "ولا إكراه في الرأي" بأنها تقليد حضاري أطربني استحداثها وأتمنى أن تشدد على ما يوجه للأطفال، بل إن تعمم صلاحياتها على منشورات القطاع الخاص الموجهة للناشئة لوضع حد للأخطاء اللغوية والتربوية والفكرية الموجودة في سوق الكتب.

ما ننتظره من وزارة الثقافة بعد تقديم أعمال الكاتب المرحوم أبو العيد دودو، في ذكرى رحليه السنوية أن تعلم المهتمين بأسماء الأعمال المقبولة لحد الآن حتى يطمئن الجميع لأن العمل في الظل مهما كان كبيرا يظل كالعرس دون زرنة لا حرارة فيه.

ونقص الإعلام لأي جهد يعد نقيصة صالحة للاستثمار. كما نأمل منها أن تتابع، بل تقوم بترشيد الأموال المقدمة للجمعيات أو المؤسسات التابعة لها والتي تستهلك باسم الفعل الثقافي، أموالا دون مردود يذكر سواء في الملتقيات أو الاحتفالات المختلفة.

# أدباؤنا ... بين الأمس واليوم

كيف يستطيع قلم المبدع الحفاظ على خطّه والوفاء لنهجه بمرور الزمن وتغيّر السياسات ؟

بعد أن تفتّت نظام المعسكر الشرقي الحامل للفكر الشيوعي الاشتراكي بزوال الإتحاد السوفياتي أمام المعسكر الرأسمالي الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية في نهاية القرن الماضي، هل يوجد اليوم في الجزائر من يحن من الأدباء إلى أيام الرئيس بومدين والنظام الاشتراكي والفكر اليساري الذي كان مرجعية إيديولوجية ثابتة في قناعاتهم وإبداعاتهم ؟ وهل يذكرون الآن الثورة الزراعية التي تغنّوا بها كثيرا وصفقوا لها طويلا بأعمالهم الأدبية ؟

صحيح أن الإنتاج الأدبي الوفير الذي رافق المرحلة المذكورة، أظهر جيلا متميزا من الشعراء والقاصين والروائيين والنقاد اصطلح على تسميتهم بجيل السبعينيات...

ورغم ما يقال عن أعمالهم التي كانت تخرج من مشكاة السياسة آنذاك، لكن التاريخ أثبت أن هذا الجيل وضع لبنات هامة في صرح الأدب الجزائري المعاصر، ، لكن هل نجد الآن من بين هؤلاء الكتّاب من يقرّ ويفخر بنصوصه التي أبدعها في تلك الفترة من سبعينيات القرن الماضي ؟!

والنص القرائي الآتي الذي كتبته في تلك الفترة، حول بعض النصوص الإبداعية، يلقي نظرة معيّنة على النص الإبداعي في إطاره الزمكاني يومئذ...

**النص :**

## أثر الثورة الزراعية في الحركة الأدبية

اعتاد الكثير من الباحثين والنقاد عندنا... إلقاء الأضواء على المسيرة الأدبية التي جاز لهم بحكم الظروف المختلفة تسميتها بالحركة الأدبية ولو أن هذه التسمية "الحركة" لاتعني في مفهومها سوى مرحلة زمنية لا تدنو من الاستقرار ولا تتجاوز الهيجان...

ومع أن أكثر الدلاء قد سكبت محتوياتها النقدية على الشكل وخاصة الشعر الذي أخذ حصة الأسد من النقد الفعلي بين التأييد القائم على التفتح والانطلاق من قيد القصيدة الخليلية وبين الصمود في وجه التيارات للحفاظ على هذه الوتيرة الكلاسيكية التي اعتبرها البعض إحدى القيم الجمالية والمقوّمات الذاتية لعناصر الشعر العربي. لكن مضمون الأعمال الأدبية أو بالأحرى المحاولات النقدية له كانت عبارة عن نظرات من "عين المفتاح" عولجت فيه الرؤى حسب الأذواق والأهواء لكل ناقد، حيث تغلّبت في أكثر المقالات النقدية روح الأنا والانطباع المجاملاتي الذي ينطلق من دوافع عاطفية وبالتالي ساد نوع من الجور الساحة النقدية ولم تنصف الأعمال الأدبية بل لم تسلم نفسها من محاولة فرض التقهقر عليها.

نعود إلى عنوان مقالتنا هذه "أثر الثورة الزراعية في الحركة الأدبية" الذي يبدو للوهلة الأولى عند البعض أن

فيه شيئا من الدعائية للثورة الزراعية، التي احتفل بعيدها هذه السنة ملايين من الجماهير التي عاشت قبل ظهورها الشقاء والتعاسة، محرومة من أبسط الحقوق، هذه الثورة لم تقتصر على إنشاء التعاونيات وبناء القرى الاشتراكية وأسواق الفلاح، بل تجاوزت ذلك إلى تغيير عقلية المواطن الجزائري في الريف سياسيا وعقائديا، وقد أبت إلاّ أن تؤثر وتتأثر بأختها الصناعية والثقافية، كما يعود إليها الفضل الأسمى في إظهار جيل جديد من الأدباء وخاصة الشباب الذين تظلّلوا تحت أفيائها وتغذوا من ثمار أفنانها، فكانت لهم الينبوع الذي لا ينضب ماؤه الزلال، ، وأن الظروف القاسية التي مرّ بها الفلاّح الجزائري خلال أحقاب متتالية من الزمن كفيلة بأن تحرك خلجات النفس ونبض الفؤاد عند أدبائنا فتتزاوج لديهم المسافة الجدلية التكاملية في الأخذ والعطاء... والاتجاه الأدبي الجديد الذي يتفرع عن أدب الثورة التحريرية قد بدأ في الظهور مع التغيرات الجديدة

للمجتمع الجزائري وخاصة في العشرية الأخيرة 1971، 1981م.

إن التعابير الأدبية وحتى الألفاظ قد أخذت شكلا جديدا، حيث أن "الوطن، المجاهد، الاستعمار، البندقية، الحرية"، هذه الكلمات قد أخذت إجازة مفتوحة بعد العناء مستسلمة لقول الشاعر الجواهري:

"لايضرنا راحة بعد العنا

فالكرى يغمض أجفان الأسود.

وعوّضت بتعابير أخرى مكثفة طبعتها المرحلة التاريخية التي تعيشها البلاد ولا يكاد يخلو أيّ إنتاج أدبي من الدلالة على محور "الأرض، الفلاح، الخماسة، المنجل، الفأس، القرية، الفجر".

إن ما طبع في مجال القصة رغم ظروف النشر المعروفة (أزمة النشر) قد حقق اكتمالا للبناء الهرمي للقصة الثورية التي وجد كتابها في ميدانها البحيرة الواسعة ذات الأسماك الوفيرة التي يسهل اصطيادها، ولا شك أن

الشبكة التي حملت أكثر من طاقتها هي رواية"الزلزال" للكاتب الطاهر وطار، ثم "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة، بعد ذلك يأتي الموهوبون أمثال: إسماعيل غموقات في "الشمس تشرق على الجميع" وإدريس بوذيبة "حين يبرعم الرفض" والجيلالي خلاص في مختلف أعماله، إلى غير ذلك من الأعمال الهامة التي قدمتها أقلام أخرى، ولنقف قليلا مع الشاب إدريس بوذيبة وقصته التي نالت الجائزة الأولى سنة 1978 في المسابقة الأدبية بمديرية الإعلام والثقافة قسنطينة، "حين يبرعم الرفض" التي تعتبر باكورة أعماله الأدبية، ولابد أن نشير إلى الإهداء:

"إلى الأيدي الخشنة.. إلى الأيدي التي تقبض على المحراث بقوة، وتتشبث بالأرض الطيبة لتزرع السنابل، ، إلى كل مثقف ثوري آمن بالثورة الزراعية، قضية مبدأ ومصير".

يستعمل الكاتب الأدوات الفنية في "منولوج" تساؤلي يبحث عن ذاته في غمرة الحياة التي تبدو في لوحة حزينة "فرحات" الخامس عند أحد الإقطاعيين:

"لو يترك الخماسة أين يذهب"

"من يقرضه الشعير لتكملة ما تبقى من العام".

لوحة أخرى تهزّ النفس الأبية عند فرحات الذي عرف حقيقة الحاج الإقطاعي... خاصة بعد امتناع الحاج عن إعانته بسلف مالي مقابل أجرة السيارة التي ستقل زوجته "نوارة" إلى المستشفى أثناء صعوبة الولادة الأولى التي ماتت خلالها...

"لن أحرث اليوم ولن أحرث الغد ولن أحرث كخماس"

"لن أعود ولا أحب أن تقف في طريقي من الآن".

ومن بين الأسئلة التي طرحت على "الحاج" أثناء الاستجواب من قبل رجال القضاء:

- كم تعطي للفلاحين؟
- الخمس.

- ما هي الأعمال التي يقومون بها؟
- الحرث، الحصاد، الدرس.
- من يقوم بتنقية الحشائش الضارة؟
- نساؤهم.
- هل يتمتعون بعطلة أسبوعية؟
- لا.
- نصف شهرية.
- لا... الخمّاس لا يتعطل.

في نفس اللحظة كان صوت "البرّاح" يؤذّن للناس أن يتقدموا للبلدية لماذا؟ للحياة الجديدة في ظل الثورة الزراعية.

أما رحلة الشعر الشاقة التي خاض غمارها الأدباء الشباب في جرأة وتحد ـ بين طعن القنا وخفق البنود ـ حيث انطلقت تجاربهم مع تجربة الثورة الزراعية في بدايتها من نقطة واحدة وهي الإيمان بحقيقة القضية،

فالشعراء كثيرون والذين تغنوا بالثورة الزراعية عسير إحصاء إنتاجهم..

وقد نتأمل معا بعض المقاطع في ديوان الشاعر الشاب حمرى بحري "أغنية للزمن الآتي" إذ أبحر مع الفلاّح في سفينة تدفعها الأمواج العاتية إلى مرفأ النيل والعطاء في ظل الثورة الزراعية.

الكتابة هي ممارسة أولا تنطوي وراء معاناة نفسية تهيئ المحيط الاجتماعي الذي يتمثّل في وجدان الشاعر حينما يداهمه إعصار الولادة الأدبية، فيقدّم لمن حوله قطعة حول الأرض تنطق في صمت:

"أنت لا تخونين
جرحتك في الصدر ألف مرة
هجرتك ألف مرة
فكنت العطاء
فكنت النداء"
قصيدة الحب بقلب حديد

وفي قصيدة أخرى يقبل "بحرى" وفي قلبه الألم الدفين:

"رغم جراحات الطفولة
جئنا مع الريح مع الأشجار
وكان يا أمي الرغيف وجه غوله
نحملك الآن وهذا الحب في عيوننا
زخات المطر

❖❖❖

علمني كيف أشد الفأس
والمحراث في وئام
وأغني للتراب
ملء الشفاه ملء الشفاه

ونفس الروح التقدمية المتقدة إشعاعا ومأملا نجدها عند الشاعر الشاب مبارك عيسى:

"انتهى عهد الضراعة
أيقظ الآمال
يا قوانين الزراعة



obeikandl.com

يا شعاعا من يراعة

ها أنا أوج عز بعد دهر وعصور

زال عني كل ظلم..إنني اليوم فخور

بعت في سوق الردى

كل شيء فيه جور

إن الالتحام الثوري الذي مزج عرق الفلاّح وخفقان السنابل في الحقول بنبض الأديب وضميره ليس بالسهولة تحقيقه ولكن والحمد لله تحقق عندنا بصفة تلقائية عفوية، وهذا ما زاد التجربة صدقا وعمقا حسيا، ، ولاشك أن هناك أعمالا كثيرة لازالت مغمورة تنتظر النور، لكن الشيء الذي لا ريب فيه هو أن الحركة الأدبية في الجزائر برهنت على التزامها وثورتها في مختلف المواقف وأكثر من مرة.

**مجلة الفلاّح والثورة**

**(الجزائر1982)**

# وجع الكتابة وكتابة الوجع في سنوات التسعينيات

ستكون كلمتي ملخصا لتجربة كاتب في المحنة خلال المأساة الجزائرية في سنوات التسعينيات وهي صورة لمعاناة وتحدي مجموعة من الكتاب الجزائريين الذين يكتبون بالعربية، لم يسمع صوتهم كثيرا في فرنسا وبقية البلدان الغربية.

معلوم أن الصراعات الكبرى مثل الحروب لا تعترف ولاتحترم المبادئ والقيم الإنسانية، إذ تعتمد الرؤية المكيافيلية "الغاية تبرر الوسيلة"، فكيف يكون حال المثقف والمبدع باعتباره الضمير الحي في مجتمعه وحامل هذه القيم الإنسانية ؟



obeikandi.com

الكاتب الجزائري عاش المعقول واللامعقول في حرب ليست كغيرها من الحروب، وإن كانت تشبه وتقارب نوعا ما الحرب الأهلية في لبنان.

كيف يمكن لعاقل أن يعيش في مجتمع مجنون؟!

كيف يمكن لمسالم أن يعيش في مجتمع عنيف؟!

كيف يمكن لمثقف أن يعيش في مجتمع يغتال العقل؟!

أسئلة تحتاج إلى إجابات عديدة ، ،ودون البحث عنها يمكن القول إن هذه الحالات المذكورة لا ترشح صاحبها إلاّ للجنون أو الانتحار، إحتمالان لا مفرّ منهما مع الأسف...!!

مع بداية التسعينيات كانت الأحداث في الجزائر تسير بسرعة في اتجاه اللامعقول وتحوّل الحلم بالديمقراطية إلى مأساة وطنية، دفع فيها الشعب فاتورة باهظة سيّما المثقف الذي كان يعاني من حالتين رعب الاغتيال الجسدي وانهيار مشروعه الفكري.

لقد أتعبتنا في هذه الفترة دوامات الحيرة أكثر من متاهات الموت، وكنّا نطرح أسئلة يومية لا نجد لها جوابا مقنعا، منها:

- هل نهاجر إلى البلدان الآمنة كما تفعل أسراب الحمام ونترك الجزائر؟!
- وهل من حق الطبيب أن يغادر مدينة أصابها الطاعون؟!
- أم نطلب الحراسة من السلطة الحاكمة في محميات على شاطئ البحر ونختفي ونراقب في صمت ماذا يحدث للشعب المسكين؟!
- أم نبقى بين المواطنين البسطاء ونواصل الكتابة بالدموع والدماء وننتظر مصيرنا ؟!

واخترت الحل الأخير وهو البقاء مع الشعب... من السهل أن تختار لكن من الصعب أن تقرر وتطبق...

وواصلت الكتابة وهنا أفتح قوسا(أرى من الضروري أن نضع الأمور في سياقها التاريخي ومناخها الجيو سياسي



obeikandl.com

حتى ندرك الموضوع جيدا ، ومن هنا أفيدكم أن إقامتي السكنية كانت ومازالت في محيط جغرافي يسمى مثلث الموت نظرا لكثرة المجازر وبشاعتها التي حدثت فيه وهو"متيجة" التي تجمع ولايات: الجزائر، تيبازا ، البليدة، بومرداس، وقد كان يسمى خلال فترة الاحتلال الفرنسي مثلث السعادة، وهو مشهور بحدائق الحوامض قرب الأطلس التلي وجبل الشريعة الرائع...) أغلق القوس.

قلت واصلت الكتابة لأنها كانت الأوكسجين والمتنفس الوحيد الذي جنّبني الاحتمالين السابقين: الجنون أوالانتحار فلولا الكتابة ما كنت بينكم اليوم...

وحتى لا يؤول كلامي هذا أفتح قوسا ثانيا لأذكر بأنني لست من طالبي الحماية ومن الراغبين في مغادرة الجزائر، وهنا أشيد بما قالته الضفدعة في مثل شعبي جزائري: - "حروق بطني ولا خروج وطني..."

وأعود للموضوع قائلا:

كنا نحمل أوراقنا متنقّلين من مكان لآخر، ليس

سياحة بل تمويها وتضليلا للقتلة، أو نتحرك وكأننا نرقص على الجمر، وهنا ينبغي أن أشير إلى أن أغلب المثقفين الجزائريين كانوا يناضلون ويواجهون في عدة جبهات، ليست جبهة الإرهاب وحدها هي التي كانت تغتال المثقف، فهو كما تقول الأسطورة وحيد أمام أفعى ذات سبعة رؤوس.. من بينها:

1. الإرهاب ويعني القتل.
2. السلطة التي كانت تتعامل وفق نظرية "إذا لم تكن معي فأنت ضدي".
3. المحيط المتخلف المعادي للوعي والحس الثقافي، والذي يفرض على المثقف حالة العزلة والتهميش والاغتراب ومن ثم يغتاله ببطء..
4. الإقصاء والإلغاء بسبب لغوي، أوجهوي، أوعرقي أوإيديولوجي (الشرعية الثورية، التاريخية...).

5. الدافع الذاتي النفسي، الإبداعي الثائر الرافض للوضع، وهو كالبركان الداخلي المنفجر الذي يبحث عن منفذ للبوح عبر الكتابة والنشر مع قلّته.

6. الإحساس بالألم العميق أمام الفواجع، أمام صراع الخير والشر، ومظاهر الإجرام ضد الإنسانية في بلد جميل ورائع الطبيعة مثل الجزائر، وكأنها جنة سكنتها الشياطين.

...إلى غير ذلك من رؤوس الأفاعي التي كان بعضها ولايزال يزعج الكتابة والتطور الثقافي في الجزائر، وإن سلم من واحد فهل يسلم من بقية الرؤوس؟!!

غير أن هناك أسطورة أخرى لطيفة تقول أن للقط سبعة(07) أرواح، كلّما ظننا أنه مات في حادث رأيناه يخرج منه سالما وينط من جديد، كذلك فإن بعض المثقفين الجزائريين الذين لازالوا على قيد الحياة لهم سبعة(07) أرواح.

في هذا الوضع ماذا كان يمكن أن نكتب وكيف نكتب:

وبصفتي قاصًّا وروائيًّا، سأتحدث عن هذا الجنس الأدبي، لقد كتبت قصة واحدة بعنوان ثقب في ذاكرة الأزون حصلت على الجائزة الأولى في مسابقة لجنة الحفلات لمدينة الجزائر، وهي تصور اغتيال الكاتب الصحفي عمر أورتيلان، توقفت ولم أكتب الرواية للأسباب الآتية:

**1**. أن الأحداث التي شاهدتها في مثلث الموت لايمكن أن يصوّرها قلم أي كاتب مهما بلغت درجة عبقريته حتى ولوكان مثل قلم الكاتبة أجاثا كريستي البوليسي أوإخراج ألفريد هيتشكوك لأفلام الرعب.

**2**. أن العمل الناضج يحتاج إلى الفضاء المناسب، والوقت الملائم للكتابة ولذلك فإن كثيرا من الأعمال الروائية والقصصية لفترة التسعينيات هي انطباعات عابرة أو

مقالات وتقارير صحفية أو مذكرات شخصية، وعليه نجد من يطلق على أدب هذه الفترة "الأدب الاستعجالي".

لهذين السببين رأيت من الأولى اختيار سبيل آخر أوجنس آخر للكتابة الروائية، يتمثّل في تدوين الأحداث في شكل يوميات من الواقع بالتوقيت والحدث، مع إضفاء الأسلوب الأدبي على التعليق حول الأحداث والربط بينها، وهذا العمل الذي يجتمع فيه الواقع مع الخيال هو قيد الطباعة تحت عنوان "يوميات مفتش متجول في مثلث الموت..."

لكن هل ينتهي دور المبدع والمثقف عموما في الإبداع الكتابي فقط أمام التحديات الكبرى التي كانت تهدد كيان الدولة الجزائرية بالزوال، حيث أن الجزائر مرّت ولازالت تمرّ بحالة غيبوبة، ضبابية في مسارها، شك في هويتها، محاولات لطمس شخصيتها، تبديد لخصوصياتها.

أمام هذه التحديات، كان علينا أن نضيف عبئا آخر في مجال الكتابة ألا وهو حفظ الذاكرة الجزائرية

والسهر على سلامة القيم الإنسانية لنقلها للأجيال، ، ولهذا شرعت في كتابة وتدوين:

1. موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين.

(بعث هذه الشخصيات الثقافية لأنها معالم حضارية لايمكن السير دون الاعتماد على مسارها...)

2. موسوعة الأمثال الجزائرية:

وهو كنز تاريخي وسجل حضاري اجتماعي لغوي، يعبر عن سسيولوجية المجتمع الجزائري.

3. حكايات جزائرية: (سلسلة)

تدوين قصص وحكايات الجدات التي تعتبر إحدى عناصر الشخصية الجزائرية.

4. الكتابة للناشئة (قصص الأطفال) لتكوين شخصية أجيال المستقبل.

وفي مجال نشر الوعي والجمع بين المثقفين قمت بـ:

1. إنشاء دار الحضارة للنشر والتوزيع.



obeikandl.com

2. تأسيس مجلة شهرية تسمى مجلة "المعلم" تربوية ثقافية.

3. تأسيس جائزة سنوية ابتداء من عام 1997 تمنح كل سنة لأحد الفاعلين في الساحة الثقافية.

4. السعي لإنشاء مدينة الإبداع. (ثقافية، سياحية)...

5. تأسيس مهرجانات أدبية سنوية في: سعيدة، مليانة، البليدة.

وأخيرا أتمنى أن يقوي الله ظهورنا لأن الذي نحمله ثقيلا ولا يمكن أن يزول في الوقت القريب.

شكرا للمنظمين الذين وفّروا لنا هذه الفرصة للقاء بكم وأخص منهم السيد جيلي اللاذقاني.

**هامش:**

قدّمت هذه المداخلة في ملتقى (الجزائر– بيروت عاصمة الألم) بدعوة من المعهد العالي للدراسات الشرقية والإسلامية (تظاهرة سنة الجزائر بفرنسا) (باريس مارس 2003) بمشاركة الشاعرة زينب لعوج والناقد مونسي الحبيب والباحث الحاج مليانى، وغيرهم من المثقفين الجزائريين واللبنانيين.

# حرب العراق

## المثقفون أكثر إحساسا بالمعاناة...

ما قيمة الحبر والأشياء أمام الدماء الزكية البريئة التي تجري في العراق جداول!

ما فائدة الكلام هنا وصوت المتفجرات هناك يصمّ الأجنة بل يئد الأحياء!

العراق اليوم قلب الأمة النابض، يدقّ بضرباته أصنام الباطل في صراع حضاري من أجل عودة الروح إلى الأمة العربية الإسلامية. في امتداد الصراع الأزلي بين الخير والشر.

هذا الشعب العراقي العملاق يصمد، يقاوم، يقهر الطغمة العسكرية الغربية التي تقودها قيادة الولايات المتحدة الأمريكية، بل يشكّكها في حساباتها واستراتيجياتها العسكرية ومخططاتها التربوية، التي

أثبتت عدم قدرتها على التفوق أمام شعب أصيل مؤمن بمبادئه.

لقد تحطّم جدار الخوف، أسد العالم لم يعد في واشنطن أوتل أبيب، لقد صار ثعلبا كغيره من الحيوانات (المتحضرة).

إن المثقفين وهم أكثر الشرائح الاجتماعية إحساسا بالمعاناة، برائحة الدم الفائر على صدور الأطفال وجبين كل شهيد يعيشون هذه الأيام اضطرابا نفسيا رهيبا، تتأرجح جوارحهم بين اليأس والأمل وبين متعة الحب للعراق وألم معاناة شعبه من الحصار والقصف.

وأهم ما يمكن تقديمه من مساعدة للعراق الشقيق على المستوى الفكري هو مواصلة السير على دربه البطولي بتجديد حياتنا وبالخصوص نظرتنا للواقع من خلال منظور فكري عملي في جميع مناحي الحياة خاصة الاقتصادية التربوية الإعلامية... أي بتجديد المنظومة الفكرية للواقع الجزائري.

إذ أن صواريخ "الحسين" و"العباس[1]" صنعها العراق بالعلم، بنظامه التربوي، باحترامه للفكر والمفكرين، فالأولى بنا أن نهتمّ بمستقبل أجيالنا.

وتجديد الوقع الجزائري يتطلب:

- صياغة الفكر عند المواطن الجزائري بصورة جديدة تعتمد على القوة العقلية بعيدا عن العصبية والشهوانية أي أن البنية الفكرية للجزائري اليوم عاطفية لا تعتمد في تحليلها للأمور على منهجية علمية. لذا ينبغي أن نعوّد المواطن التفكير الاستقرائي. الاستنتاجي. الاستدلال على أساس منطقي.

- إعادة النظر في النظام التربوي الجزائري الحالي، لأنه لا يتماشى وأسس التربية وعلم النفس، وأقل ما يقال عنه أنه ضد العقل، ضد الفطرة الإنسانية، إذْ أن

1 . العباس والحسين اسمان أطلق على صاروخين ضرب بهما العراق إسرائيل في حرب العراق الأولى 1991م.

مدارسنا تقوم بعملية التدجين والتهجين تجاه الأجيال البريئة، بل هي أقرب إلى الثكنات التي تفرض نظاما صارما لا يراعي الميول والرغبات. بل تقدّم للبراعم حشوا من المعلومات لايراعى فيها الكم والنوعية وقابلية المتعلمين، وصار المعلم كالسجان الذي يفرض على المساجين نظاما وأكلا ومقاما من اختياره ولا يهمه إحساسهم وذوقهم ورغبتهم، مما جعل التلاميذ يعلنون التمرد، يدق جرس الخروج فيفرون إلى الخارج بحثا عن الترفيه والاطمئنان وتأتي العطلة فيحرقون كراساتهم على عتبة أبواب المؤسسة التعليمية ويبقى المردود غائبا والإبداع وهمًا والاختراع حلما.

أتعجب من إمام يلعن الغرب وفي يده ميكرفون وقربه مكيف هواء من إنتاج الغرب، بل إن معدته تقتات بقمح الغرب.

فالاهتمام بالزراعة لتحقيق الأمن الغذائي صار رهانا استراتيجيا، حبذا لو اتجهت المسيرات المؤيدة للعراق

إلى الحقول والمزارع لحرث الأرض وغرس الأشجار وبناء السدود، ذلك أفضل دعم للعراق الحبيب على المديين القريب والبعيد. لأن العراق الشقيق في استغناء عن (غاشي) يمدون أيديهم للعدو طلبا للخبز بينما أرضهم تشكو البوار. يستوردون مهملات علوم الغرب وعقولهم مشلولة بتقديس المظاهر المادية. (وهذا حالنا مع الأسف).

وفي الختام أسأل الشعراء الذين طالما تغنوا بالقوافي في مهرجان "المربد" السنوي بالعراق، ماذا فعلتم بالأقلام الذهبية المهداة لكم يومئذ بيد الرئيس "صدام" ألم يحن ميعاد الخروج من الصمت؟ أم أنها بيعت في المزاد العلني.. كما بيعت سابقا العهود بالوفاء على المبادئ الوطنية في السوق السوداء، ممّن عاهدوا الراحل بومدين..؟!

(نشر بجريدة المساء
في: 7 فيفري 1991 ـ بتصرف ـ)

المساء
● الخميس 22 رجب 1411 هـ ●
● الموافق لـ 7 فيفري 1991 م ●

# المثقفون والحرب

في بلد من بلدان الوطن العربي يسجن « المثقف» لأنه يعبر عن رأيه !!؟
في بلاد عربية اخرى يتحدث المثقف وصوته لايصل .
في بلاد أخرى لايقول المثقف شيئا مهما

سجل اللقاء : الطاهر يحياوي

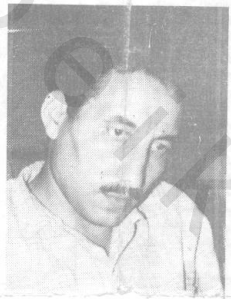

# المثقفون اكثر إحساسا بالمعاناة ...

## رابح خدوسي : (كاتب)

ما قيمة الحبر والدماء الزكية البريئة تجري في العراق جداول ، ما فائدة الكلام هنا وصوت المتفجرات هناك يصم الاذنة بل يئد الاحياء . العراق اليوم هو قلب الامة النابض يدق بضرباته اصنام الباطل في صراع حضاري من اجل عودة الروح إلى الأمة العربية الاسلامية . في صراع أزلي بين الخير والشر .

هذا الشعب العراقي المعلاق يصد ، يقاوم ، يقهر الطغمة العسكرية الغربية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية ويشككها في حساباتها السابقة في استراتيجياتها الاعلامية ، العسكرية ، التربوية .. التي أثبتت عدم قدرتها على التفوق امام شعب اصيل مؤمن بمبادئه ...

لقد تحطم جدار الخوف ، أسد العالم لم يعد في واشنطن او تل ابيب ، لقد صار ثعلبا كغيره من الحيوانات (المتحضرة) !!

وهذا «صدام» سيبقى رمزا للعزة والكرامة تتغنى به الاجيال على مر الزمن مهما كانت نتيجة الحرب ، لانه انتصر معنويا منذ اليوم الثاني للحرب وهذا هو الاهم .

المثقفون اكثر الشرائح الاجتماعية احساسا بالمعاناة ، برائحة الدم الفائر على صدور الاطفال وجبين كل الشهداء . اضطراب نفسي رهيب نعيشه هذه الايام سببه تأرجح جوارحنا بين اليأس والامل وبين متعة الحب للعراق وألم معاناة شعبه من الحصار والقصف .

وأهم ما يمكن تقديمه من مساعدة للعراق الشقيق على المستوى الفكري هو مواصلة السير على دربه البطولي وذلك بتجديد البناء الداخلي للواقع الجزائري وفق ما يأتي :

- صياغة الفكر عند المواطن الجزائري بصورة جديدة تعتمد على القوة العقلية بعيدا عن الفضية والشهوانية اي ان البنية الفكرية للجزائري اليوم ادبية ، عاطفية لا تعتمد في تحليلها للامور على منهجية علمية ، لذا مدارسنا تقوم بعملية التدجين والتهجين تجاه الاجيال البريئة ، بل هي اقرب الى التكنات التي تفرض نظاما صارما لا يراعي الميول والرغبات ، بل تقدم لبراعم حشوا من المعلومات لا يراعى فيها الكم والنوعية وقابلية المتعلمين وصار المعلم كالسجان الذي يفرض على المساجين نظاما واكلا مقاما من اختياره ولا يهمه احساسهم وذوقهم ورغبتهم .

التلاميذ يملئون التمرد ، يدق جرس الخروج فيفرون الى الخارج بحثا عن الترفيه والاطمئنان وتأتي العطلة فيحرقون كراساتهم على عتبة ابواب المؤسسة التعليمية ويبقى المردود غائبا والابداع وهما والاختراع حلما .

صواريخ «الحسين» و«العباس» صنعها العراق بالعلم بنظامه التربوي ، باحترامه للفكر والمفكرين .

أتعجب من امام يلعن الغرب وفي يده يكرفون وقربه مكيف هواء من انتاج الغرب ، بل ان معدته تقئات بقمح الغرب ...

- الاهتمام بالزراعة لتحقيق الامن الغذائي ، حبذا لو اتجهت المسيرات المؤيدة للعراق الى الحقول والمزارع لحرث الارض وغرس الاشجار وبناء السدود ، ذلك افضل دعم للعراق الحبيب على المدين القريب واليعيد .

البلد الشقيق في استغناء عن «غاشي» يمدون ايديهم للعدو طلبا للخبز بينما ارضهم تشكو البوار ، يستوردون مهملات علوم الغرب وعقولهم مشلولة بتقديس المظاهر المادية . وهذا حالنا مع الأسف .

لذلك ينبغي علينا ان نجدد حياتنا وبالخصوص نظرتنا للواقع من خلال منظور فكري عملي في جميع مناحي الحياة خاصة الاقتصادية ، التربوية ، الاعلامية ... الخ .

وفي الختام أسأل الشعراء الذين طالما

# (امرأة في نقطة الصفر)

# نوال السعداوي بين الرواية والغواية

## قبل البدء : حكايتي مع الكاتبة.

عندما أنهيت قراءة رواية "امرأة عند نقطة الصفر" للدكتورة نوال السعداوي في بداية التسعينيات من القرن الماضي، عادت الذاكرة بي إلى بداية الثمانينيات فاستحضرت مشهدا اختزن في صندوق هذه الذاكرة لم تستطع السنون بحرّها وقرّها محوه، كنا في ملتقى حول العلامة ابن خلدون بمدينة فرندة 1982 نقيم في حي سكني تتوسطه مساحات شبه خضراء، وطرق منسقة توصل مداخل السكنات، أثارني مشهد شخص في متوسط العمر، يلبس سروالا وقميصا، طويل القامة، شعره الأشعث يغلب عليه البياض، كان يسير في اتجاه مستقيم، مرّة على

الطريق المخصص للمشي، وأخرى على المساحات المخصصة للنبات المنتظر، لأن الحي جديد.

امتلكني إحساس شديد بالشفقة على هذا الإنسان، الذي كنت أراه مشردا تائها، وازدادت شفقتي عندما تبيّن لي أنه أنثى..!

عدت إلى البناية التي منحت لنا للإقامة فيها خلال ملتقى الفكر الخلدوني، الذي كان ينظّمه المركز الوطني للدراسات التاريخية سنويا بالتنسيق مع ولاية تيارت في قلعة بني سلامة، حيث عكف العلامة ابن خلدون وكتب جزءا من "المقدمة" الشهيرة، وهناك جمعتني شقة واحدة مع المؤرخ الفقيه الشيخ عبد الرحمان الجيلالي، بعد مرافقته في السيارة مجيئا من الجزائر العاصمة ثم إيابا، لأننا قدمنا في وفد من العاصمة عن المركز الوطني للدراسات التاريخية، الذي كان تابعا لرئاسة الجمهورية وكنت عضوا مراسلا به، وكان ضمن الوفد مع مجموعة من المؤرخين الجزائريين

الباحثين بالمركز أمثال: الدكتور ناصر الدين سعيدوني، والدكتور شنيتي.

كم كانت دهشتي كبيرة في اليوم الموالي عندما رأيت امرأة الأمس تجلس في الصف الأمامي على يمين الشيخ عبد الرحمن الجيلالي، رفقة ثلة من الأساتذة والوزراء، وعرفت بعدئذ أنها الأستاذة نوال السعداوي، مدعوة قادمة من مصر، كما قدم الدكتور التازي من المغرب والدكتور العُجيلي من سوريا ومن الجزائر حضر الأساتذة الوزيران السابقان الشقيقان الشيبانان عبد الرحمن وسعيد والوزير المفكر مولود قاسم نايت بلقاسم والشاعر يوسف سبتي (رحمهما الله)... وغيرهم.

ثم بدأت أطّلع على المعالم الفكرية للأستاذة الدكتورة نوال السعداوي المختصة في علم النفس والتي استطاعت توظيفه في جلّ مداخلاتها الشفوية والكتابية.

وقلت ربما الذي شرّدها هو البحث عن الحقيقة، حتى نسيت أنوثتها ومستلزماتها الطبيعية والمكتسبة، غير أن

سيرها في غير نظام، وانحرافها عن الطريق المخصص للمشاة، وسط البناءات الجديدة، وسيرها على المساحات الخضراء، جعلني أستنتج أن المرأة إما تائهة كالأمة العربية جمعاء، أومتمردة على جميع القوانين بما فيها قانون المرور.

وقبل أن أعود إلى الرواية المنشورة بالجزائر سنة 1992 من قبل المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية التي بدأ يمسها الإرهاق المالي شأنها شأن المؤسسة الوطنية للكتاب المفلسة منذ سنوات نظرا لسوء التسيير وتعمّد طبع الرداءة والمجون...! (كتب هذا المقال سنة 1996) أسجل تقديري لهذه المرأة في دفاعها النبيل عن حال المرأة، وأقول لها إن وضع المرأة يحتاج إلى أكثر من ألف امرأة أمثال نوال السعداوي و مائة رجل كقاسم أمين وإلى مليون داعية لفهم الدين الإسلامي على الوجه الصحيح لتحريرها من عقدة النقص التاريخية ولتحرير الرجل من مركب التفوق الأجوف والغرور الأعمى... ولتحريرهما معا من استغلال الحكّام ورجال الأعمال، باسم الدين والأعراف مرة وباسم التطور

والحضارة مرة ثانية، وتحت أسماء أخرى... وكأنها(المرأة) ما خلقت إلاّ للإمتاع والمؤانسة، ولتدفئ الضجيع وترضع الرضيع، كالدجاجة بيضها في الفم ومقامها في الخم...!

كما أبيّن أنني التقيتها سنة 2002 بفندق الهيلتون بالجزائر وأجريت معها حوارا شاملا حول التربية والتعليم والمرأة في البلدان العربية نشر في العدد 08 من مجلة المعلم سنة2001 التي كانت تصدرها دار الحضارة، وفي هذا اللقاء استوت صورتها المتكاملة في ذهني.

والدكتورة في روايتها (امرأة عند نقطة الصفر) تدافع عن امرأة واحدة اسمها فردوس وهي بطلة روايتها، وتدفع أكثر من امرأة إلى السير على خطى الضحية فردوس، وبذلك يصبح الضرر أكثر من النفع كحال الخمرة وشاربها، لأن تبرير الخطأ وتبرئة الجاني وتزيين القبيح وإلصاق التهمة على غير الجاني مثل: الأسرة، المجتمع، القدر، إذا كان ذلك مقبولا نفسيا وسيكولوجيا، فإنه مرفوض واقعيا، بل هو غطاء وتستر على أفعالنا وتملص من

المسؤولية الأخلاقية والقانونية، وبالتالي يكون تشجيعا للظاهرة التي تصبح ككرة الثلج، تكبر كلّما تدحرجت، لكنها سرعان ما تذوب عندما تطلّ عليها شمس الحقيقة من غير زيف أو تبرير، وهذا ما حدث لبطلة رواية الكاتبة نوال السعداوي، ولا يمكن خداع القارئ بتصوير المنهزم بطلا والجاني ضحية.

## ❖ ملخص القصة :

القصة مأساة حقيقية صنعها تخلف الوعي الاجتماعي وساهمت فيها البطلة، تتحدث عن فتاة من الريف المصري تعيش خلف الحياة في أسرة فقيرة وبخيلة، بعد وفاة والديها تنتقل إلى عمّها الأزهري المقيم بالمدينة فتدرس وتحصل على شهادة الثانوية، لها زوجة عم كانت قاسية، لم يهدأ لها بال حتى زوجتها من قريبها رغم كبر سنه، كان نهما وشحيحا وقاسيا عليها مما دفعها إلى الهروب من البيت واللجوء إلى الشارع، وفيه امتهنت الدعارة، ولم يشفع لها منصبها

الجديد في الشركة، لتعود إلى ممارسة مهنتها المذكورة، بعد إخفاقها في أول تجربة حب لتقتل في الأخير أحد المتعاملين معها والمستغلين لمالها، في موقف محاولة إثبات كل طرف أناه، وتكون نهايتها السجن، حيث التقت بها الكاتبة نوال السعداوي، وبعد تردّد قصّت عليها الحكاية التي سجلتها لنا الكاتبة تحت عنوان "امرأة عند نقطة الصفر"

القصة مؤثرة في أحداثها، جريئة في اعترافاتها، واضحة في مقاصدها، بسيطة في نسيجها اللغوي، فاترة في سردها القصصي، عميقة في تشريحها النفسي، واسعة في استطراداتها، متعددة في إسقاطاتها النقدية، لاذعة في نقدها للواقع الاجتماعي الأسري والديني والسياسوي، باختصار هي أقرب إلى تقرير باحثة نفسانية، أوتحليل نفسي لحالة نفسية معقّدة منها إلى قصة أدبية بكل مقوماتها وليس إلى رواية كما سجل على غلاف الكتاب، لأن الرواية لها مواصفاتها، مع العلم أن الكتاب يحتوي على

قصّتين قد تكون الثانية المعنونة "موت الرجل الوحيد على الأرض" أقرب إلى الرواية.

مهما تكن الدوافع والتبريرات للدفاع عن حقوق المرأة العربية المختزلة في البطلة "فردوس" فإنها لن تسمح بتهديم أركان صرح الأسرة، التي تعتبر مكسبا ثمينا لصالح المرأة.

والشيء المؤسف أن المحامية هنا تشدّ معولا وتهدم به بيت موكلتها بسلبياته وإيجابياته، كمن تُحطم التحف الفنية الجميلة لتتخلص من خيوط العنكبوت، تبدد السكينة والمودة والرحمة عندما تريد محاربة جور الأزواج وقهر المجتمع والعادات البالية!

"إن أحدا لم ينقذني منهم وأنا زوجة أضرب"، "إن حياة المرأة في جميع الأحوال سيئة، لكن حياة المومس أقل سوءا، وقد أقنعت نفسي بأنني اخترتها و.. وإصراري على أن أكون مومسا يؤكد لي أنا التي اخترت حياتي، وإنني أملك حرية اختيار أقل الأشياء سوءا"ص82.

لا أتصور أن بطلة القصة الحقيقية تنسج أفكارا بهذا النمط، لأن مستواها التعليمي أي الشهادة الثانوية لايؤهلها لإدراك هذا البعد الفلسفي رغم تجربتها الفاشلة في زواجها السابق، والدكتورة هنا تقارن بين بيت الزوجية لما فيه من خلافات وانسجام وعفة وطهر، وبين الدعارة وحياة المومس والتشرد والرذيلة، وتفضل الدكتورة حياة المومس لأنها أقل سوءا من الحياة الزوجية، وهذه دعوة صريحة إلى الزوجات لاختيار الطريق المفضل عند الدكتورة نوال.

ويزيد حماسها الفياض لطريقتها الانتحارية في الهروب إلى الأمام عوض معالجة المشاكل في حدود الأسرة فتقول: "وأصبحت مومسا ناجحة، أحصل على أعلى ثمن، ويتنافس عليّ أعظم الرجال" ص82.

والغريب أن نوال السعداوي من بداية القصة إلى نهايتها لم تذكر أو تذكّر القارئ بأن بطلة القصة التي صارت "مومسا ناجحة" تفتخر بها الكاتبة هي على ذمة رجل، رغم

عيوبه التي لا تحصى فهي غير مطلقة، بل خرجت إلى الشارع دون علم منه بها.

وهكذا تريد الدكتورة أن تقول لكل زوجة: لك أن تخرجي إلى الشارع دون علم من زوجك وأن تصبحي مومسا ناجحة يراودك أعظم الرجال...؟!!

لقد شدّني سؤال فجائي كانت قد طرحته منشطة السهرة المفتوحة بقناة M B C على الدكتورة نوال السعداوي خلال عقد ملتقى حول المرأة بلندن سنة 1996 في خضم الحوار، جاء السؤال في مضمونه:

ـ ألا يعتبر فشلك في زواجك الأول سبب ثورتك على الرجال ؟. وكان السؤال في حقيقته النفسية كما يلي:

ـ "ألا تعانين من عقدة نفسية تجاه كل الرجال أيتها الطبيبة في العلوم النفسية..؟! وجاء الجواب ناقصا متلعثما، كأنه يخرج من جوف بركان هامد.

"وأدركت أنني تخلصت من آخر قطرة من القدسية في دمي، وأصبح عقلي واعيا بالحقيقة، حقيقة أنني أفضل أن أكون مومسا عن أن أكون قديسة مخدوعة..." ص80.

هل تريد الدكتورة أن تقول للقارئ إن الوعي بالحقيقة لن يتأتى إلاّ بالتخلي عن الشرف ؟!! أو ماهو القصد من وراء هذه المفاضلة الغريبة ؟!!

لنتابع معا قول الدكتورة في الصفحة ذاتها:

(إلا أن أقل النساء انخداعا هن المومسات، ومن أجل الزواج والحب تنال المرأة عقابا أشد).

هل صار الزواج عند الكاتبة عقوبة؟!! وحتى الحب هذه الشعلة الروحية المقدسة التي تسمو بالكائن إلى أرقى وأنبل الدرجات هو في حقيقته عقاب للمرأة...؟!! أي مجتمع تراه الدكتورة بديلا بعد أن يتمّ تفتيت أهم ركن في المجتمع الحالي؟!، وأعني بذلك الأسرة، وأساسها الزواج الذي تهاجمه الكاتبة بشراسة، وتصف المرأة المتزوجة في مغالاة بالعبدة (والصواب اللغوي هو الأمة)، ثم تصف أجساد

المتزوجات بأرخص الأجساد، وتدعوهن في وقاحة إلى الخلاعة والمجون والعهر بأية طريقة.

"وأن أرخص النساء ثمنا هن الزوجات، على جميع النساء أن يكن مومسات بأشكال مختلفة، ولأنني ذكية واعية فقد فضلت أن أكون مومسا حرة على أن أكون مومسا عبدة، وفي كل مرة أعطي جسدي أقبض الثمن غاليا وأستطيع بثروتي أن أستأجر من الخدم ليغسلوا ملابسي وينظفوا أحذيتي، وأستطيع أن أستأجر المحامي للدفاع عن شرفي وأستأجر الطبيب لإجهاضي...الخ" ص84 .

ما هذا الهراء والاستهزاء بالقيم الإنسانية الجميلة يا دكتورة؟! ألا يوجد العفاف والطهر والفضيلة في قاموسك المعرفي...؟! هل يطربك أن تعم الفاحشة في الذين آمنوا وأن ينتشر الفساد، ويعم الزنا الخلق، تختلط الأنساب ويختلط الحابل بالنابل، فتصبح الأعراض مشاعة والنساء مومسات، والأطفال لقطاء لابيت لا أسر لا مودة لا صلة رحم...؟!

ولتدعم البطلة مواقفها السابقة تعلن بعد قتلها لأحد زبائنها... أنها صارت تمشي بخطى واثقة قوية لأنها ليست زوجة بمعنى أن الزوجة تمشي بذلة، مذبذبة الشخصية "لكن خطوتي الواثقة القوية فوق الإسفلت تدل على أنني لست زوجة لأحد"ص89.

وهذه دعوة أخرى تريد الدكتورة النفسانية إسكانها في اللاشعور النسائي كي تصير بعد حين سلوكا تتمسكن به في حياتهن المستقبلية، ولا شك أن الكاتبة قد استثمرت اختصاصها في علم النفس في هذا المجال لاستغلال عقول الفتيات والنساء والتغرير بهن في الفوضى داخل مستنقع الرذيلة.. سيّما وأن المرأة العربية تعاني قلة النضج الفكري، ولو بلغت في بعض الأحيان درجات علمية أو سياسية كالدكتورة والوزيرة وإلاّ كيف نعتبر دعوة الدكتورة إلى تغيير وثيقة عقد الزواج الشرعي للمرأة ببطاقة المومس حسب الاستنتاجات السابقة ؟!

قواعد الإملاء في هذه الرواية مضطربة سيّما الفرق بين همزة الوصل وهمزة القطع، وجهلهما كجهل الفرق بين مرض الانفصام ومرض ازدواج الشخصية.

**تعليق بالمناسبة:**

كتب علي أن أقضي هذه السنة (1996) إجازتي الصيفية في بلدة جزائرية في مرتبة بلدية ريفية، ورغم كرم أهلها وصفاء هوائها وروعة لياليها المقمرة، إلاّ أنها كانت بمثابة مقبرة لا يتحرك على سطحها سوى النمل المذكر... نوافذها موصودة وشوارعها ميّتة.. الأنثى فيها مُزنزنة... مدجنة لأنها في المخيال الذكوري عورة... عوراء.
وشمل الاحتقار حتى أنثى الحيوان كالنعجة والدجاجة والفرس والأتان، فهي أقل شأنا من مذكرها في المعاملة وفي البيع وفي اللحوم.

البارحة أقيم عرس في البلدة، تهافت عليه الذكور من مختلف الأعمار لأن "مومسا ناجحة" ـ حسب رأي الدكتورة

نوال ـ كانت تغني طوال الليل في هذا الحفل والمال يتساقط أمام قدميها من قبل الكثير من السكان، ، سألت نفسي هل من الرجولة أن يبخل الزوج بماله وابتسامته وبفحولته على عياله ويهبها لعاهرة خاطبت فيه الغريزة والرعونة والجاهلية والمكبوت...

والأدهى والأمر أن صاحب العرس هو إمام الجمعة بالبلدية، مما يعني أن نفاق بعض المتكلمين باسم الدين أشدّ ضررا من أعداء الملة، وقد ترسّخت لدي قناعة أن سبب تأخر الأمة وانحرافها عن النهج القويم إنما يعود إلى ثلاثة منابر أو مؤسسات وهي: الإعلام، المدرسة، المسجد، هذه المؤسسات إذا لم تبن تهدم وإذا لم تقدم تؤخر وإذا لم توع تخدّر، والمؤسف أن المؤسسات المذكورة كانت سلبية إلى حد كبير، بل ساهمت في تغييب الوعي الفعال وأنشأت وعيا جماهيريا وهو وعي التخلف، وعي المظاهر الزائفة والكلام الأجوف والعزة بالإثم، وعي القشور وليس وعي البذور.

وهنا أتفق مع السيدة نوال حينما تصف على لسان بطلتها ازدواج الشخصية عند بعض المتدينين ونفاقهم فتذكر في ص 16 أن أباها فلاح فقير، يفلح الأرض ويبيع الجاموسة المسمومة قبل أن تموت ويسرق زراعة جاره قبل أن يسرقه جاره، وينحني على يد العمدة دون أن يقبلها ويضرب زوجته كل ليلة، وصباح كل جمعة يرتدي جلبابا نظيفا ويذهب ليصلي، وبعد الخطبة يتحدث مع أقرانه عن إمام الجمعة بإعجاب فقد ذكر أن السرقة والقتل وسمّ البهائم والضّرب كلهم حرام...

(كتب بإحدى البلديات الريفية بولاية سعيدة صيف 1996)
نشر بالجرائد الإلكترونية أصوات الشمال ،ديوان العرب والجمعية الدولية للمترجمين.واتا . جوان 2010

## انطباعات جلفاوية

# ملتقى الإبداع الأدبي والفني...

الجلفة مكانا... منتصف جويلية زمانا... الملتقى الوطني الرابع للإبداع الأدبي والفني سبب كاف لإقناع إرادتي في التوجه إلى عتبات الصحراء في عزّ الصيف، حيث يتجه الناس إلى المنتجعات على شواطئ البحار أوقمم الجبال...

بعد تردّد عزمت على المغامرة حتى لا أكرّر الاعتذار عن الغياب ـ كالمرات السابقة ـ لهذه المدينة النائمة في خدرها التاريخي، الحالمة بغدها الطفولي، ولأن شهرتها كعاصمة السهوب والأغنام طغت على سمعتها كمخزون للتراث الثقافي الأصيل جعلت أحكامنا الجاهزة غير منصفة لها، فتسرّب الشك إلى ذهني بأننا سنعود من رحلتنا هذه بخفي حنين...

لكن اليقين كان مفاجئا لكل التصورات السابقة، حيث وجدت هناك ما أثلج صدري وجعلني أراجع جميع

ظنوني السابقة، وتأكدت هناك أن الجزائر لازالت بخير والحمد لله...

إنهم فتية آمنوا بربهم وبالمسألة الثقافية في مدينتهم ووطنهم، فرفعوا راية التحدي وحقّقوا ما لم يتم تحقيقه حتى من قبل هيئات وطنية تمثّل الثقافة بجيوش من الموظفين وخزائن من الأموال... وجمعيات كاتحاد الكتاب الذي وُئدت جل ملتقياته... لقد حضرت كثيرا من الملتقيات الوطنية والدولية... وأشهد أن ملتقى الجلفة تجاوزها نجاحا في كثيرا من المناحي والنواحي... فهو لم يكن ملتقى الإبداع الأدبي والفني فحسب بل كان ملتقى الصفاء والوفاء... الأصالة والمعاصرة... الجمع بلا منع... يختزل في مضامينه معاني المصالحة مع الذات المبدعة ومع الآخر.

كيف لا يكون ذلك وقد جمع المبدعين من تيبازة إلى تمنراست، ومن بلعباس إلى سوق أهراس في أجواء تسودها المودة والطمأنينة، وقُدّمت فيه مداخلات ثرية وقراءات أدبية متنوعة وحضوره لم تعرف كمّه حتى قاعات الأوراسي

أوالهلتون، حيث نُظِّم مؤخرا ملتقى الرواية، فكم شاهدنا ملتقيات عدد الحضور فيها يزيد قليلا على الجالسين في المنصّة.

وقد احتفى في طقوس ثقافية أسطورية بالأديب سعيد بوطاجين، وبالرسام محمد بوكرش وآخرين.. وكم كانت دار الثقافة ابن رشد ومديرها كبيرين عندما فتح قلبيهما للمبدعين في زمن وُصدت الأبواب في وجوههم بأماكن عديدة.

فاستحقّت أسرة هذه الدار تكريما خاصا من دار الحضارة تمثّل في موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، وفي التعهد بطبع الأعمال الفائزة في المسابقة الأدبية، وكم كانت خيمة الأصالة والإبداع "أولاد نايل"ـ بالحي الجامعي، حيث أقيمت السهرات ـ شامخة وثابتة تذكّرنا بمقولة الزعيم الهندي غاندي:

"أحب أن تهب جميع الرياح على خيمي لكن لاتقلعها".

وفي هذه السهرات الفنية والأدبية تجلت روعة التشيط مع الشاعر هيثم سعد زيان..

في هذا الملتقى تم تكسير طوق العزلة عن مبدعي الولاية الذين عانوا كثيرا من مرارة الاغتراب بفعل ثقافة النسيان والتهميش ووجدنا في عيونهم شوقا ورغبة في الإنعتاق.

ملتقى الجلفة مكسب ثقافي وطني كبير... لا ينبغي التفريط فيه مع الاستفادة من الأخطاء المسجلة التي تركت لدى البعض انزعاجا وأظهرت كثيرا من الذين يأكلون من الشجرة ثم يكسرون أغصانها ، ممّن يعانون من عقدة النجاح، الذين يرون الأشواك دون الورود ، ومن حقّ المدعوين فقط المطالبة بألاّ يعاملوا في الجلفة كالخرفان إن لم يعاملوا كالعرسان.

وبالتجربة نعرف معاناة منظمي مثل هذه الأعراس الثقافية في وسط بيروقراطي معقد بل هو خصم للكلمة أحيانا... وهنا نذكر المعاتبين بالمثل العربي:

"لا يحس بالجمرة إلا من وطئها"...

ولا يمكن أن يكون جميع المدعوين عرسانا في عرس لايحتمل أكثر من عروسين هما بوطاجين والجلفة، ، ، هنيئا للثقافة...

وشكرًا للمنظمين على ألاّ يكرّروا هفواتهم... في انتظار فتية آخرين في ولايات أخرى...

(نشر بجريدة الأحداث
في: 20 جويلية 2004)

obeikandl.com

ملتقى الإبداع الأدبي والفني

مساهمة

# انطباعـــات عـــائد من الجلفـــة

**الجلفة مكانا.. منتصف جويلية زمانا.. الملتقى الوطني الرابع الإبداعي الأدبي والفني سبب كاف لإقناع إرادتي في التوجه إلى عتبات الصحراء في عز الصيف، حيث يتجه الناس إلى المنتجعات على شواطئ البحار أو قمم الجبال..**

بعد تردد عزمت على المغامرة حتى لا أكرر الاعتذار عن الغياب - كالمرات السابقة - لهذه المدينة النائمة في خدرها التاريخي الحالمة بغدها الطفولي، ولأن شهرتها كعاصمة السهوب والأغنام طغت على سمعتها كمخزون للتراث الثقافي الأصيل جعلت أحكامنا الجاهزة غير منصفة لها، فتسرب الشك إلى ذهني بأننا سنعود من رحلتنا هذه بخفي حنين.. لكن اليقين كان مغايرا لكل التصورات السابقة، حيث وجدت هناك ما أثلج صدري وجعلني أراجع أراجع جميع ظنوني السابقة. وتأكدت هناك بأن الجزائر لا زالت بخير والحمد لله..

إنهم فتية آمنوا بربهم وبالمسألة الثقافية في مدينتهم ووطنهم فرفعوا راية التحدي وحققوا ما لم يتم تحقيقه حتى من قبل هيئات وطنية تمثل الثقافة بجيوش من الموظفين وخزائن من الأموال.. وجمعيات كاتحاد الكتاب الذي وئدت جل ملتقياته.. لقد حضرت كثيرا من الملتقيات الوطنية والدولية، وأشهد أن ملتقى الجلفة تجاوزها نجاحا في كثير من المناحي والنواحي.. فهو لم يكن ملتقى الإبداع الأدبي والفني فحسب بل ملتقى الصفاء والوفاء، الأصالة والمعاصرة، الجمع بلا منع يختزل في مضامينه معاني المصالحة مع الذات المبدعة ومع الآخر.

كيف لا يكون ذلك وقد جمع المبدعين من تبيازة إلى تمنراست ومن بلعباس إلى سوق اهراس في أجواء، تسودها المودة والطمأنينة، وقدمت فيه مداخلات ثرية وقراءات أدبية متنوعة.. وحضوره لم تعرف كمه حتى قاعات الأوراسي أو الهلتون، حيث نظم مؤخرا ملتقى الرواية، فكم شاهدنا ملتقيات عدد الحضور فيها يزيد قليلا عن الجالسين في المنصة.

وقد احتفي في طقوس ثقافية أسطورية بالأديب الجزائري الدكتور سعيد بوطاجين، وبالرسام محمد بوكرش وآخرين، وكم كانت دار الثقافة ابن رشد ومنذ يرها كبيرين عندما فتحا قلبيهما للمبدعين في زمن وُصدت الأبواب في وجوههم بأماكن عديدة، فاستحقت أسرة هذه الدار تكريما خاصا من دار الحضارة تمثل في موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، وفي التعهد بطبع الأعمال الفائزة في المسابقة الأدبية، وكم كانت خيمة الأصالة والإبداع «أولاد نايل» - بالحي الجامعي، حيث أقيمت السهرات، شامخة وثابتة تذكرنا بمقولة الزعيم الهندي غاندي: «أحب أن تهب جميع الرياح على خيمي لكن لا تقلعها».

وأهم من ذلك تكسير طوق العزلة عن مبدعي الولاية الذين عانوا كثيرا من مرارة الاغتراب بفعل ثقافة النسيان والتهميش ووجدنا في عيونهم شوقا ورغبة في الانعتاق.

ملتقى الجلفة مكسب ثقافي وطني كبير، لا ينبغي التفريط فيه مع الاستفادة من الأخطاء المسجلة التي تركت لدى البعض انزعاجا وأظهرت كثيرا من الذين يأكلون من الشجرة ثم يكسرون أغصانها ممن يعانون من عقدة النجاح الذين يرون الأشواك دون الورود، ومن حق المدعوين فقط المطالبة بألا يعاملوا في الجلفة كالخرفان إن لم يعاملوا كالعرسان.

وبالتجربة تعرف معاناة منظمي مثل هذه الأعراس الثقافية في وسط بيروقراطي معقد بل خصه للكلمة... وهنا نذكر المعانيين بالمثل العربي: «لا يحبر بالجمرة إلا وطنها»... ولا يمكن أن يكون جميع المدعوين عرسانا في عرس لا يحتمل أكثر من عروسين هما بوطاجين والجلفة... هنيئا للثقافة وشكرا للمنظمين على ألا يكرروا مفواتهم في انتظار فتية آخرين في ولايات أخرى...

رابح خدوسي (كاتب)

## حـوار خـاص

# أغلب الجمعيات الثقافية الوطنية أجهزة خادمة

(حوار أجراه الكاتب الصحفي حميد عبد القادر
ونشرته جريدة الخبر بتاريخ الإثنين : 27 ، 12 ، 2004م)

**مدخل :**

يعتقد رابح خدوسي أنه من العسير تحقيق الأمن الثقافي في الجزائر، وإذا استمر الوضع على حاله، فإننا سنتحول إلى مجتمع غابي فوضوي استهلاكي. وأضاف خدوسي في حوار خصّ به "الخبر" أنه يشتغل على بناء الوعي بالمستقبل من خلال الاهتمام بثقافة الطفل. لأنه يرى غيابا لثقافة الطفل في الجزائر، وأن فشل المخططات التنموية منذ حكم

الرئيس الراحل بومدين يعود إلى عدم تكوين الإنسان منذ صغره.

**س: يبدو رابح خدوسي كاتبا متعدّد المواهب: ما سر هذا الاهتمام بكل ماهو إبداع؟**

**ج:** أمارس الكتابة كهواية واحتراف، واعتقد أنها رسالة ليس لها حدود ولا بحر ولا ساحل، فالتخصص مجاله العمل الأكاديمي، أما الإنتاج الإبداعي والثقافي فلا قيد أوحد له، وبلا فخر، فإنني أكثر الكتاب مقروئية بفعل تعدّد كتاباتي وتنوع قراءاتي، أنا أكتب للصغار والكبار وفي أنواع شتى، كالقصة والرواية والتراث وكذا أدب الأطفال، ولذلك دخلت معظم البيوت الجزائرية، وأعتبر هذه الأجناس والأغراض المتعددة في كتاباتي وسائل وأدوات لتحقيق مشروعي الثقافي، وهي تشبه الأدوات الحرفية المستعملة في إنجاز أي بناء: قصر، ،جامعة... الخ.

ويتمثّل مشروعي في بناء الوعي الذاتي والجمعي، هذا الوعي المغيّب، وأولهما الوعي بالذات. ولذلك اشتغلت كثيرا

على الذاكرة والماضي، وأنجزت موسوعة الأدباء والعلماء الجزائريين، وموسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية، ودوّنت حكايات جزائرية شفوية.

وقد تُرجمت هذه الأعمال إلى الفرنسية، كما أنجز حاليا موسوعة المدن والقرى الجزائرية، وهنا أرجو من القراء المساهمة في هذا المشروع الكبير بإرسال نصوص حول مدنهم إلى دار الحضارة.

**س: وتخصّص كثيرا من منشوراتك للأطفال؟**

**ج:** فعلا أشتغل على بناء الوعي لضمير المستقبل وهذا سرّ الاهتمام بثقافة الطفل، لأني أرى أن غياب ثقافة الطفل في الجزائر وراء فشل المخططات التنموية منذ حكم الرئيس الراحل بومدين أي أن السبب يعود إلى عدم تكوين الإنسان منذ صغره... فمن يصوغ عقلية الطفل الجزائري اليوم؟

هناك مؤسسات خارجية وأخرى داخلية مثل التلفزيون وبعض المساجد، وحتى من الجرائد ما تساهم في تغييب

الـوعي، ، وبـذلك نـزرع ألغامـا في أطفالنـا فتنفجـر سياسـيا عندما يكبرون، (كما قال أحدهم).

ومن أجل تجنّب ذلك، نلح دائما على الاهتمام بموضوع الطفل وثقافته، وعلى مستوى دار الحضارة التي سطرنا مشروع مكتبة الحضارة (1000 كتاب للطفل) وقد أنجزنا الـ100 كتاب الأولى من المشروع.

وهناك جائزة نادي الحضارة التي أسستها وشرعت في توزيعها لأحد الفاعلين في الحقل الثقافي ،ستعود إلى الوجود في ثوب جديد وترتيبات جديدة.

المخزون الثقافي والطاقات الإبداعية كامنة في العمق الجزائري أي في المدن الداخلية، ولو أتيح لها الظهور لذابت كثير من الأسماء الموجودة في الواجهة الثقافية، كما يذوب الجليد عند شروق الشمس.

لا تهمني الألقاب ولا المناصب، يكفيني أنني أكثر مقروئية في الجزائر وكتبي وصل بعضها الطبعة العاشرة.

**س: لهذا أسست دار الحضارة للنشر؟**

ج: وبواسطة هذه الدار استطعت أن أعيد ثقة المجتمع في المثقف، إذ برهنت للجميع أن المثقف يستطيع الاعتماد على علمه لكسب العيش الكريم، دون الاعتماد على وظيفة أخرى في الدولة أو في غيرها.. وأتمنى أن يفعل ذلك غيري ممن يشتكون التهميش، فالثقافة مواقف ولاثقافة لمن لاموقف له.

**س: وما رأيك في الجمعيات الثقافية؟**

ج: أغلب الجمعيات الثقافية الوطنية أجهزة خادمة للسلطة، تنفّذ تصورات هذه الأخيرة وتقيم أعراس مناسباتها، ولا تهتمّ بوضع المثقفين المنخرطين فيها.

(.....) البيئة الثقافية عندنا موبوءة بأفكار مريضة، تحملها عناصر من الطبقة المحسوبة على الثقافة، المعقدة بالإيديولوجية والجهوية والانتهازية، وهذه النماذج تعاني من الوعي المتخلّف على عكس الجمهور الذي يعاني من تخلف الوعي وهو أقل ضررا، لذلك فإننا بحاجة إلى ممارسة النقد الثقافي في حياتنا اليومية لأنه يهمّ جميع المواطنين وكل

المهتمين بالساحة الفكرية، أما النقد الأدبي فمكانه المخابر والمدرجات الجامعية التي أصبحت تعاني من حالة تخزين المعرفة وعدم نشرها، ونحن في دار الحضارة ننتج المعرفة ونحاول تحويلها إلى سلوك يومي في تفاعلنا مع الآخرين، فلا معنى لكتابة رواية أو قصيدة لا تجد من يقرأها، لذلك ابتعدت قليلا عن مجال الإبداع الأدبي للكبار واشتغلت بتهيئة المناخ العام للمقروئية منذ مرحلة الطفولة.

**س: وما هي مهام المثقف الجزائري اليوم؟**

**ج:** ونحن في خضم المأساة الوطنية يجب أن نفكر في المصالحة الوطنية، وهذه المصالحة ينبغي أن تشمل الذاكرة والتاريخ حتى لا تدفع أجيال ما بعد الاستقلال فاتورة أخطاء وخلافات قادة الثورة، أعطيك مثالاً:

نجد أبناء الولاية الرابعة في قائمة المغضوب عليهم في نظر النظام منذ الاستقلال إلى اليوم، وخير دليل على ذلك الإقصاء الذي عانى منه المجاهدان أمحمد يزيد(وزير

الإعلام في الحكومة الجزائرية المؤقتة) ويوسف بن خدة (رئيس الحكومة المؤقتة).

ينبغي الاعتراف بأن الشرعية التاريخية الثورية أعاقت التطور الديمقراطي في الجزائر، وأرهقت الفكر العقلاني كثيرا، سيّما في الإعلام والثقافة، ، واعترافات بعض المسؤولين السابقين عبر مذكراتهم المنشورة خطوة سليمة نحو الشرعية الديمقراطية، لذلك فإن الاشتغال على الذاكرة يحمينا من تكرار أخطائنا مستقبلا، والمصالحة الوطنية ينبغي أن تشمل القيم الإنسانية كالصدق في الخطاب والجمال في الواقع.ومن العسير تحقيق الأمن الثقافي والغذائي ما دامت الإبادة تلاحق الحقول والعقول المنتجة، وإذا استمر الوضع على حاله سنتحول إلى مجتمع غابي فوضوي استهلاكي يجوز أن نضع على مداخل حدود وطنه لافتات يكتب عليها: غابة الجزائر.

رابح خدوسي لـ "الخبر"

# أغلب الجمعيات الثقافية الوطنية أجهزة خادمة

**يعتقد رابح خدوسي أنه من العسير تحقيق الأمن الثقافي في الجزائر. وإذا استمر الوضع على حاله، فإننا سنتحول إلى مجتمع غابي فوضوي استهلاكي. وأضاف خدوسي في حوار خص به "الخبر" أنه يشتغل على بناء وعي المستقبل للاهتمام بثقافة الطفل، لأنه يرى أن غياب ثقافة الطفل في الجزائر، وفشل المخططات التنموية منذ حكم الرئيس الراحل بومدين يعود إلى عدم تكوين الانسان منذ صغره.**

حاوره: حميد عبد القادر

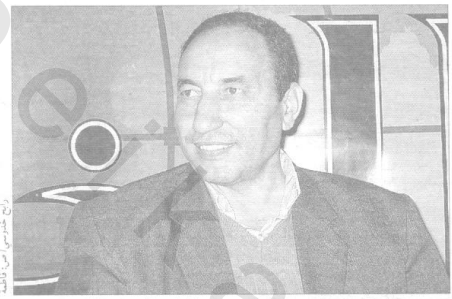

رابح خدوسي في ثقافة

***يبدو رابح خدوسي كاتبا متعدد المواهب، ما سر هذا الاهتمام بكل ما هو ابداع؟***

● أمارس الكتابة كهواية واحتراف، وأعتقد أنها رسالة ليس لها حدود وبحر لا ساحل، فالتخصص مجاله العمل الاكاديمي، أما الانتاج الابداعي والثقافي فلا قيد أو حد له، وبلا فخر، فإنني أكثر الكتاب مقروئية بفعل تعدد كتاباتي وتنوع قراءاتي، أنا أكتب للصغار والكبار وفي مواضيع شتى كالقصة والرواية والتراث وكذا أدب الاطفال، لذلك دخلت معظم البيوت الجزائرية وأعتبر هذه الاغراض المتعددة في كتاباتي هي وسائل وأدوات لتحقيق مشروعي الثقافي وهي تشبه الادوات المستعملة لإنجاز أي قصر أو جامعة.

ويتمثل مشروعي على بناء الوعي الذاتي والجمعي، هذا الوعي المغيب أولها الوعي بالذات، ولذلك اشتغلت كثيرا على الذاكرة والماضي وأنجزت موسوعة الابداء والعلماء الجزائريين وموسوعة الامثال الشعبية الجزائرية ودونت حكايات شفوية.

وقد ترجمت هذه الاعمال إلى الفرنسية، كما تنجز حاليا موسوعة المدن والقرى الجزائرية وأرجو من القراء المساهمة في هذا المشروع الكبير بإرسال النصوص حول مدنهم إلى دار الحضارة.

***وتخصص كثيرا من منشوراتك للأطفال؟***

● فعلا فأنا أشتغل على بناء وعي مستقبل للاهتمام بثقافة الطفل، لأني أرى أن غياب ثقافة الطفل في الجزائر وفشل المخططات التنموية منذ حكم الرئيس الراحل بومدين يعود إلى عدم تكوين الانسان منذ صغره، فمن يصرخ بثقافة الطفل الجزائري اليوم؟ هناك مؤسسات خارجية وأخرى داخلية مثل التلفزيون وبعض المساجد، ومن الجرائد من تساهم في تغييب الوعي، نحن نزرع أشياء في أطفالنا، فتنفجر سياسيا عندما يكبرون، كما قال أحدهم، ومن أجل تجنب ذلك، كنا ننادي دائما بالاهتمام بموضوع الطفل وثقافته وعلى مستوى دار الحضارة التي سطرنا مشروعا مكتبة الحضارة 1000 كتاب للطفل وقد أنجزنا 100 كتاب، الاولى من المشروع جائزة الدي الحضارة التي أسستها وشرعت في توزيعها ستعود للوجود في ثوب جديد وترتيبات جديدة المخزون الثقافي والطاقات الابداعية كامنة في العمق الجزائري في المدن الداخلية ولو أتيح لها الظهور لذابت كثير من الأسماء الموجودة في الواجهة الثقافية، كما يذوب الجليد عند شروق الشمس لا تهمني الالقاب ولا المناصب، يكفيني أنني أكثر مقروئية في الجزائر وكتبي وصل بعضها الطبعة العاشرة.

***لماذا أسست دار الحضارة للنشر؟***

● وبواسطة هذه الدار استطعت أن أعيد ثقة المجتمع للمثقف، إذ برهنت أن الجميع يستطيع الاعتماد على علمه لكسب العيش الكريم دون الاعتماد على وظيفة أخرى في الدولة أو في غيرها .. وأتمنى أن يفعل ذلك غيري ممن يشتكون التهميش، الثقافة مواقف ولا ثقافة لمن لا موقف له.

***وما رأيك في عمل الجمعيات الثقافية؟***

● أغلب الجمعيات الثقافية الوطنية أجهزة خادمة للسلطة تنفذ تصورات هذه الأخيرة وتقيم أعراس مناسباتها ولا وضع المثقفين المنخرطين فيها واتحاد الكتاب شاخ وداخ وترهل وأصبح ككهف مهجور ورثته ليست لهم فريضة وهو كالشجرة المسوسة تورث وأقفة البيئة الثقافية بأفكار مريضة وبعناصر من الطبقة المحسوبة على الثقافة معقدة بالايديولوجية والجهوية والانتهازية، لذلك فإن هذه النماذج تعاني من الوعي المختلف على عكس الجمهور الذي يعاني من تخلف الوعي وهو أقل ضررا، لذلك فإننا بحاجة إلى ممارسة النقد الثقافي في حياتنا اليومية لأنه يهم جميع الوطنيين وكل المهتمين بالساحة الفكرية، وقد ترك النقد الادبي إلى المخابر والمدرجات الجامعية وتخزين المعرفة وعدم نشرها، ونحن في دار الحضارة ننتج المعرفة ونحاول تحويلها إلى سلوك يومي، لا معنى لكتابة رواية أو قصيدة، ولا تجد من يقرأها، ولذلك ابتعدت قليلا عن مجال الابداع الأدبي للكبار واشتغلت بتهيئة المناخ العام للمقروئية منذ مرحلة الطفولة.

***وما هي مهام المثقف الجزائري اليوم؟***

● يجب أن يفكر في المصالحة الوطنية، وهذه ينبغي أن تشمل الذاكرة والتاريخ حتى لا تدفع أجيال ما بعد الاستقلال فاتورة أخطاء وخلافات قادة الثورة، مثلا نجد أبناء الولاية الرابعة في قائمة المغضوب عليهم في نظر النظام منذ الاستقلال إلى اليوم، وخير دليل على ذلك الاقصاء الذي عانى منه محمد يزيد ويوسف بن خدة، ينبغي الاعتراف بأن الشرعية التاريخية الثورية أعاقت التطور الديموقراطي في الجزائر وأرهقت الفكر العقلاني كثيرا، سيما في الإعلام والثقافة واعتراف بعض المسؤولين عبر مذكراتهم خطوة سليمة نحو الشرعية الديموقراطية، لذلك، فإن الاشتغال على الذاكرة سيحمينا من تكرار أخطائنا مستقبلا، والمصالحة الوطنية ينبغي أن تشمل القيم الانسانية كالصدق في الخطاب والجمال في الواقع..

من العسير تحقيق الأمن الثقافي والغذائي ما دامت الإبادة تلاحق الحقول والعقول المنتجة، وإذا استمر الوضع على حاله سنتحول إلى مجتمع غابي فوضوي استهلاكي يجوز أن نضع على مداخل حدود وطنه لافتات يكتب عليها غابة الجزائر.

ح.ع